

رسالة ابن الهيثام

نص محقق

o b e i t a n d i . c o m

obeikandi.com

نسخ رسالة ابن القارح

وصلت إلينا منها ثلاث نسخ، تنتمي على الأرجح إلى أصل واحد هو :
« نسخة الشيخ طاهر الجزائري » ، وهذا بيانها :

١ - نسخة الحزاة التيمورية من مخطوط الشيخ الجزائري : ورمزها ج

٢ - « » « » - خط ي

٣ - النسخة المطبوعة - مع رسائل البلغاء ع

• • •

ويُرمز إلى نسختنا هنا في طبعة الذخائر بحرف ذ

١ - النسخة التيمورية الأولى : ورزها : (ج) .

مخطوط ضمن مجموعة رسائل ، تحمل رقم (٨٠ مجاميع - تيمور) بالكتابة التيمورية في دار الكتب .

وعدد أوراق المجموعة كلها مائة وثمان وثلاثون ورقة ، مرقمة من ورقة ٢٥٠

إلى ٣٨٧

مساحة الصفحة : $١٧ \times ١٠,٥$ سم ٢

» الكتابة : ١٢×٦ سم ٢

وعدد سطور الصفحة تسعة عشر سطرًا ، ومتوسط كلمات السطر تسع كلمات . والكتابة مُجَيِّدٌ وَاثِقٌ بالمداد الأحمر ، والهامش عراض ، وبها حواش قليلة . والورق معتاد قديم ، قلما تخلو ورقة فيه من ثقب ، أما الخط ففارسي جميل مكتوب بعناية وأناقة ، مع اهتمام واضح بالتنسيق ، والفواصل بالمداد الأحمر . ومن مميزات خطها ، وضع ثلاث نقط تحت السين المهملة ، وقصر المدود . والمجموعة تتضمن إحدى عشرة رسالة ، هي على الترتيب :

١ - رسالة في مدح الشعر ، للطيب بن علي .

٢ - « مدح العدل وذم الظلم .

٣ - « ذم الكبر .

٤ - « فضل الإعطاء على العسر .

٥ - « التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم .

٦ - « الحث على طلب العلم والاجتهاد .

٧ - « المعجم في بقية الأشياء .

وهذه الرسائل الست ، من رقم ٢ : ٧ ، لأبي هلال ، العسكري .

٨ - الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، لأبي اليسر إبراهيم ابن محمد الشيباني .

٩ - رسالة لبعض الفضلاء ، كتبها إلى أبي العلاء المعري .

١٠ - رسالة في النساء المتزوجات من قریش .

١١ - رسالة لأبي بكر الخوارزمي ، كتبها إلى جماعة الشيعة لما قصدهم بنيسابور .

* * *

و « رسالة ابن القارح » هي التاسعة بين هذه الرسائل ، وعنوانها في المخطوط :

رسالة لبعض الفضلاء كتبها إلى أبي العلاء المعري .

وتملاً الرسالة ست عشرة ورقة ، من صفحة ٣٤٩ إلى صفحة ٣٦٤ .

• • •

وعلى صفحة الفهرست توقيع الشيخ « طاهر الجزائري سنة ٣١١ » وعلى الصفحة قبل الأخيرة من المخطوط - وهي على ورق مائل ، وبالخط الذي كتبت به المجموعة كلها - أختام ثلاثة محفورة بالزنكوغراف ، يغلب أنها لثلاثة مالكيين ، دخلت الرسالة في حوزتهم :

وأحد هذه الأختام يحمل تاريخ سنة ١١٧١ هـ ، ونصه :

عبدك يا رحمان يرجو تفضلاً هُداك وتوفيقاً ، وأحسن ختامه .

والثاني : « بدأتني يارب بالإحسان ، يارحمن ارحم نعمان ، فاختم لي يا مولاي

بالغفران » .

والثالث : يحمل اسم « عبد الرحمن » محاطاً بأربعة أسطر من الشعر الفارسي .

أما الصفحة الأخيرة من المخطوط ، فقد ألصقت بها ورقة البطانة البيضاء في التجليد ، فطمست ما بها من معالم النص ، وقد حاولنا قراءتها فاستطعنا بعد جهد ومشقة ، أن نميز فيها . هذا التوقيع :

« في نوبة أحقر العبيد ، الراجي عفواً المحيد ، أحمد بن محمد بن سعيد النابلسي

عفا الله عنه - سنة ١٢٧٧ » .

وهذه النسخة هي أقدم ما لدينا من مخطوطات الرسالة ، والراجح أنها - أو النسخة التي كانت أصلاً لها - هي الأصل لما بين أيدينا من نسخ أخرى لرسالة ابن القارح . وهو ترجيح اطمأننت إليه بعد المعارضة الدقيقة والفحص المتأن الذي أرجو ألا يكون قد فاتني فيه شيء ؛ فأكثر التحريفات في نسختي (ي ، ط) منقول بنصه من نسخة (ج) ، والحواشي المدودة التي وجدت بهامشها ، نقلت كما هي في النسخين الآخرين ، وقلما اختلفت رواية إحداهما عن رواية الأصل إلا لعلّة فيه ، كضياع بعض الحروف في ثقب البلي ، أو احتمال قراءة اللفظ على صورتين . وسيجد القارئ بيان هذا كله في مقابلات النسخ على هامش النص .

ونسخة (ج) غير مُسندة، بل يقطع سندها من النابلسي— أقدم الموقعين عليها—
في القرن الثالث عشر للهجرة، إلى « ابن القارح » في القرن الخامس. أو لعل السند
مطموس في التجليد.

أما توثيق نسبها ومَتنها، فاعتمدنا رسالة الغفران أصلاً لهذا التوثيق، بما
تضمنته وبخاصة في القسم الثاني من فقرات رسالة ابن القارح في رد أبي العلاء
عليها.

ونسخة (ج) هذه، هي التي اعتمدناها أصلاً للنص الذي ننشره، فلم نعدل
عنها إلا حيث تدعو ضرورة، مع تمييز ما نعدل به عن الأصل بأقواس مربعة،
ومع إثبات رواية الأصل على الهامش.

٢ - النسخة التيمورية : ورغزها : (ح)

وهي نسخة خطية مستقلة، رقمها في المكتبة التيمورية ٧٥٣ أدب.

عدد صفحاتها ست وثلاثون صفحة. ومتوسط كلمات السطر تسع كلمات.

مساحة الصفحة ٢٤ × ١٦ سم

ومساحة الكتابة ٢٠ × ١٠ سم

والنسخة حديثة، كُتِبَ على صفحتها الأخيرة ما نصه :

« قد كان الفراغ من نسخ هذه الرسالة بقلم الفقير محمود حمدي، موافقاً يوم
الأربعاء سادس عشر شهر شعبان المعظم سنة ١٣٢٧ سبع وعشرين وثلثمائة بعد الألف
هجريه، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً »
لم يذكر الناسخ الأصل الذي نقل عنه، لكننا نرجح مطمئنين، أنه منقول
من النسخة التيمورية الأولى (ج) وقد نقل عنوان الرسالة كما هو هناك.

« رسالة لبعض الفضلاء إلى أبي العلاء المعري ».

وتحت بخط الأستاذ المحقق أحمد تيمور :

« هذه الرسالة للعلامة الفهامة المحدث، على بن منصور الحلبي المعروف بابن

القارح، وأجابه أبو العلاء برسالة الغفران ».

ثم ختم « وقف أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور » .

والذي نرجحه ، أن تيمور (باشا) تملك نسخة الشيخ طاهر الجزائري ،
وإذ وجد بين رسائليها « رسالة إلى أبي العلاء » أثر أن ينقلها على حدة ، لصلتها
برسالة الغفران التي كان يملك في خزانته نسختين خطيتين منها ، وقد حرص الناسخ
« محمود حمدي » على أن ينقلها بعناية ودقة ، فلم يفته مثلا أن ينقل ضبط الكلمات
المضبوطة في الأصل ، ولم يحاول أن يتصرف في النص ، اللهم إلا حين يتعذر عليه
قراءة لفظ ، فيكتبه حسب اجتهاده .

وعدم أصالة هذه النسخة ، لم يمنعنا من فحصها وإثبات نتيجة مقابلتها على
نسخة (ج) ، لتؤيد ما ذهبنا إليه من صلة بين النسختين .

• • •

٣- النسخة المطبوعة : ورمزها : (ع)

نشرها المرحوم « الأستاذ كرد علي » ضمن مجموعة (رسائل البغاء) وتقع
رسالة ابن القارح في عشرين صفحة من (١٩٤ : ٢١٣) في الطبعة الثانية
المطبوعة بدار الحلبي بالقاهرة عام ١٩١٣ .

وقد ذكر « الأستاذ كرد علي » في مقلمة هذه الطبعة ، أسماء من نشرها
(رسائل البغاء) التي جمعها ، فكانت رسالة ابن القارح إحدى رسالتين اثنتين
تولى هو نفسه نشرهما ، والرسالة الأخرى هي « ملئ السبيل » لأبي العلاء المعري .
وقدم الأستاذ « رسالة ابن القارح » بكلمة أشار فيها أنه ظفر بها « في خزانة
الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري » ثم ساق ترجمة موجزة لابن القارح نقلا عن معجم
الأدباء لياقوت .

وهذه الإشارة ، تؤيد ما اطمأننا إليه من كون نسخة الجزائري ، هي أصل
هذه النسخة ، إذ تحمل مجموعة الرسائل التي تضم رسالة ابن القارح ، توقيع
الشيخ « طاهر الجزائري » كما ذكرنا عند وصف نسخة (ج) .

وهذا النص المطبوع في (رسائل البغاء) مشوّه بتحريرات وأخطاء يشق معها
قراءة الرسالة وفهمها ، فضلا عن رداءة الطبع ، وافتقار النص إلى الشرح الذي

يجلوما أمكن من غوامضه ، ويعرف بأعلامه التي ورد بعضها محرّفاً .

يبي أن نشير هنا إلى أن الأستاذ كامل كيلاني ، نشر مع رسالة الغفران (الطبعة الثالثة ، دار المعارف) رسالة ابن القارح ، وعلى الرغم من سكوته عن ذكر الأصل الذي نقل منه ، إلا أنا لا نخطئ فيها ما يثبت نقلها عن النص المحرّف المطبوع في رسائل البلغاء .

وقد أهدرنا اعتباراً ما نشره الأستاذ كيلاني بين نسخ الرسالة ، لأن الأصل الذي نقل منه ، يغنينا عنه ، ولأنه تصرف فيه بالحذف والتغيير ، على نحو ما فعل برسالة الغفران ، فضلاً عما يعوزه من أصول التحقيق والنشر العامي .

• • •

ومما يفرضه على منهج التحقيق ، أن أنبه هنا إلى أن كل علامات الترقيم لي ، ويدخل فيها نسق الإخراج المطبعي في بدايات الفقرات والفصول . وكذلك أكثر علامات الضبط . بالشكل في المتن أو بالعارة في الحواشي .

ومن ثم ، فأنا أحمل مسئولية احتكام الترقيم والضبط ، في تحديد الدلالات وتوجيه السياق . والله الموفق .

رسالة الأعضاء الصلوات إلى

أبو الصلوات

العربي

أدب بيمبر
٧٥٢

هذه الرسالة للصلاة التيمورية

المحدث علي بن منصور الكلبيني

الملقب

المعروف بابن القارح

وأما في الوكيلين العربي

بنيان لعفران



رسالة ابن القارح

النسخة التيمورية . ورمزها (ي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استفتاحاً باسمه ، واستنجاحاً ببركته . والحمدُ لله المبتدئُ بالنعم المنفردُ بالقدم ، الذي جَلَّ عن شَبهِ المخلوقين ، وِصْفَاتِ المحدثين ؛ وَلِيُّ الحَسَنَاتِ ، المُبْرِّئُ من السَّيِّئَاتِ ؛ العادلُ في أفعاله ، الصادقُ في أقواله ؛ خالقُ الخلقِ ومُبدئُه ، ومُبقئُه ما شاء ومُفنيُه . وصلواتُه على مُحَمَّدٍ وأبرارِ عِترته^(١) وأهْلِهِ ، صلاةٌ تُرضيه ، وتُقربُه وتُدنيه ، وتُزلفُه^(٢) وتُحظِّيه :

كِتَابِي - أطال اللهُ بقاءَ مولاى الشيخِ الجليلِ ، ومدَّ مُدَّتَه ، وأدامَ كِفايَتَه وسعادَتَه ، وجعلنى فداهُ ، وقدمنى قبلَه على الصَّحَّةِ والحقيقةِ ، وبعدَ القصدِ والعقيدةِ ، وليس على مَجازِ اللفظِ . ومجرى الكتابةِ ، ولا على تَنْقِصِ وخِلافةِ ، وتَجَبُّبِ ومسامحةِ ، ولا كما قال بعضهم وقد عاد صديقاً له : « كَيْفَ تَجِدُكَ جَعَلَنى اللهُ فداك » وهو يقصدُ تَجَبُّباً ، ورُيدُ تَمَلُّقاً ، وَيَظُنُّ أَنه قد أسدى جَميلاً يَشْكُرُه صاحِبُه إن نَهَضَ واستَقَلَّ^(٣) ، ويُكافئُه عليه إن أفاقَ وأبَلَّ - عن سلامةِ تمامها بحضورِ حَضْرَتِه ، وعافيةِ نظامها بالتشرفِ بِشَريفِ عِزَّتِه ، ومَيِّمونِ نَقيبَتِه وطلعتِه . ويعلمُ اللهُ الكَريمُ - تَقَدَّسَتْ أَسماؤُه - أنى لو حَنَنْتُ إليه - أدام اللهُ تَأْييدَه - حنينَ الوالِهِ إلى بِكرها ، أو ذاتِ الفَرْخِ إلى وكْرها ،

١- العترة : ولد الرجل وذريته ، وكل عمود تفرعت منه الشب فهو عترة . وعن الخليل : عترة الرجل أقرباؤه من ولده وولد ولده وبنى عمه . انظر (أساس البلاغة) .

٢ - تزلفه : تقربه ، وله زلفة وزلوى : قربى وميزلة ، والجمع زلف ، وزلفات : كفوف وغرفات .

٣ - استقل : نهض . يقال : استقل الطائر ، إذا ارتفع ونهض ، وفلان مستقل بنفسه ، إذا كان ضابطاً لأمره .

أو الحمامة إلى إنفها ، أو الغزالة إلى خشفها^(١) ، لكان ذلك مما تُغيِّره الليالي
والأيام ، والعضور والأعوام ؛ لكنه حين الظمان إلى الماء ، والخائف إلى
الآمن ، والسليم^(٢) إلى السلامة ، والغريق إلى النجاة ، والقليق إلى السكون ؛
بل حين نفسه النفيسة إلى الحمد والمجد ، فإني رأيت نزاعها إليهما نزاع
الاستقصات^(٣) إلى عناصرها ، والأركان^(٤) إلى جواهرها . فإن وهب الله لي
ملاء^(٥) من العمر يُونسني برويته ، ويُعليقني بحبل مودته ، صرت^(٦)
كسارى الليل ألبي عصاه ، وأحميد مسراه ، وقر عينا ونعم بالآ ، وكان
كمن لم يمسسه^(٧) سوى ، ولم يتخونه^(٨) علو ، ولا نهكه رواح ولا غلو .
وعسى الله أن يمن بذلك ، بيومه^(٩) أو بثانيه ، وبه الثقة .

وأنا أسأل الله على التذاني والنوى والبعاد ، إمتاعه بالفضل الذى استعلى
على عاتقه وغاربه ، واستولى على مشارقه ومغاربه ، فمن مر على بحر الهياج ،
ونظر في لألاء بدره الوهاج ، خليق بأن يكبو^(١٠) قلمه بأنامله ، ويتبو

١ - الخشف ، بثلاث الخاء المعجمة ، وسكون الشين ؛ ولد الظي أول ما يولد .

٢ - السليم ، هنا : الملوغ ، وقد سلمته الحية سلماً لدغته . ويقال : بات بلبلة سليم وهو
الدينغ . قال الأعشى :

* وبات كبات السليم سهدا *

٣ - الاستقصات : والاسطقات ، العناصر ، أصول المركبات - يونانية معربة . انظر
(التعريفات للسيد الشريف الجرجاني - ص ١٥ ط صبيح سنة ١٣٢١) .

٤ - الأركان : هى الأجسام البسيطة التى تتكون منها المواد ، وكانت عند الأقدمين أربعة :
النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .

٥ - الملاء : السمة والامتداد ، والامتلاء . ملؤ ملاء وملاءة : صار مليئاً .

٦ - فى ع : [مرت] تحريف .

٧ - فى ع : [لم يمس] .

٨ - كذا فى [ج ، ي] - وفى ع : [يتخوفه]

وفى اللغة : تخوفه : تنقصه ، وتخوفه الدهر بمعنى خانه .

٩ - فى ي : [ييو] .

١٠ - فى ي : [يكسو] . تحريف .

طَبَعَهُ عَنْ رِسَالَتِهِ ، إِلَّا أَنْ يُلْقَى إِلَيْهِ بِالْمَقَالِيدِ ، أَوْ يَسْتَوْهِيَهُ إِقْلِيدًا^(١) مِنْ
 الْأَقَالِيدِ ، فَيَكُونُ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ ، وَمَحْسُوبًا [عَلَيْهِ] ^(٢) ، وَنَازِلًا فِي شِعْبِهِ ، وَأَحَدَ
 أَصْحَابِهِ وَحِزْبِهِ ، وَشِرَارَةَ نَارِهِ^(٣) ، وَقُرَاضَةَ دِينَارِهِ ، وَسَمَكَ^(٤) بَحْرِهِ ، وَثَمَدَ^(٥)
 غَمْرِهِ . وَهِيَهَات ! ضَاقَ فِئْتَرٌ عَنْ مَسِيرِ ، لَيْسَ التَّكْطَلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ ،
 خُلِقُوا أَسْخِيَاءَ لَا مَتَسَاخِينِ وَلَيْسَ السَّخِيُّ مَنْ يَتَسَاخَى ، لَا سِمَا وَأَخْلَاقُ
 النَّفْسِ تَلْزَمُهَا لُزُومَ الْأَلْوَانِ لِلْأَبْدَانِ ، لَا يَقْدِرُ الْأَبْيَضُ عَلَى السَّوَادِ ، وَلَا
 الْأَسْوَدُ عَلَى الْبَيَاضِ ، وَلَا الشُّجَاعُ عَلَى الْجُبْنِ ، وَلَا الْجَبَانُ عَلَى الشُّجَاعَةِ ،
 قَالَ «أَبُو بَكْرٍ»^(٦) [العرزى] : :

يَعْرِى جَبَانُ الْقَوْمِ عَنْ أُمَّ رَأْسِهِ وَيَحْمَى شَجَاعُ الْقَوْمِ مَنْ لَا يَنَاسِبُهُ
 وَيَرْزُقُ مَعْرُوفَ الْجَوَادِ عَلُوهُ وَيُحْرَمُ مَعْرُوفَ الْبَخِيلِ أَقَارِيئُهُ
 وَمَنْ لَا يَكْفُ الْجَهْلَ عَمَّنْ يَوَدُّهُ فَسَوْفَ يَكْفُ الْجَهْلَ عَمَّنْ يُوَاطِبُهُ
 وَمَنْ أَيْنَ لِلضَّبَابِ صَوْبُ السَّحَابِ ، وَلِلغُرَابِ هُوِي^(٧) الْعُقَابِ !! وَكَيْفَ
 وَقَدْ أَصْبَحَ ذِكْرُهُ فِي مَوَاسِمِ الذِّكْرِ أَذَانًا ، وَعَلَى مَعَالِمِ الشُّكْرِ لِسَانًا ؟ فَمَنْ

١- الإقليد : المفتاح .

٢- في ج : [إليه] ، ولعله سهو نسخ .

٣- في ع : [تياره] ، تصحيف .

٤- كذا في الأصل ، ولعله : [سمل] ، وهو بقية الماء في الخوض .

٥- التمد : التقليل . وفي (الأساس) عن الأصمعي : هو ماء المطر يبقى محقوناً تحت رمل
 إذا كشف أدته الأرض . ومن الهجاز : رجل شهود ، كثر عليه السؤال حتى أتفدوا ما عنده .

٦- في ج : [العرزى] وثلهاى ، ع . تصحيف ، انظر الأعلام .

٧- في ع : [هى] تعريف .

الأعلام

• - أبو بكر العرزى : محمد بن عبيد الله ، أصله من حضرموت ، نشأ بالكوفة وأدرك
 أول الدولة العباسية . وجل شعره آداب وأمثال . (المرزبانى : معجم الشعراء ص ٤١٧ ط القاهرة
 ١٣٥٤) .

دَافَعَ الْعِيَانَ ، وَكَابَرَ الْإِنْسَ وَالْجَانَ ، وَاسْتَبَدَّ بِالْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ ، كَانَ كَمَنْ صَالَبَ بِوِقَاحَتِهِ الْحَجَرَ ، وَحَاسَنَ بِقَبَاحَتِهِ الْقَمَرَ ، وَهَدَى وَهْدَرَ ، وَتَعَاطَى ^(١) فَعَقَرَ ، وَكَانَ كَمَحْمُومٍ بُلْسِمٍ ^(٢) فَعَقَرَ ^(٣) ، [وَنَادَى] ^(٤) عَلَى نَفْسِهِ بِالنَّقِصِ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ ، وَكَانَ كَمَا قَالَ مَنْ يَعْينِهِ وَلَا يَشْكُ فِيهِ ^(٥) :

كِنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَنْمَلِقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَزَادَهُ شَرْفًا لَدَيْهِ - قَالَ : « لَعَنَّ اللَّهُ ذَا اللِّسَانَيْنِ ، لَعَنَّ اللَّهُ كُلَّ شَقَّارٍ ^(٦) ، لَعَنَّ اللَّهُ كُلَّ قَتَاتٍ ^(٧) .

* * *

وَرَدَّتْ « حَلَبَ » ظَاهِرَهَا - حَمَاهَا اللَّهُ وَحَرَسَهَا - بَعْدَ أَنْ مُنِيتُ بِرَبِضِهَا ^(٨)

١ - تعاطى : تناول ما لا ينبغي له . وتعاطى الأمر : خاض فيه . وتعاطى الرجل : قام على أطراف أصابع اليدين والرجلين مع رفع اليدين إلى الشيء ليس في تناوله ليأخذه .

وعقر : جرح ونحر ، قيل أصله من عقر النخل وهو أن تقطع رؤوسها فتييس . نظر فيه إلى آية القمر في حمود : « فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر »

٢ - بلسم : أصيب بالبلسام وهو أشد الجدرى . فهو بلسم ، وشله مبرسم . قال العجاج :

* اصفر حتى آخض كالمبرسم *

٣ - عقر : تمرغ في التراب . وعقر يعقر صار لونه كالعقر - بالتحريك - وهو ظاهر

التراب .

٤ - في ج ، ي : [وفادى] وأحبه اشتباه رسم .

٥ - البيت للأعشى من معلقته ، ورواية الديوان :

ألت منتهاً عن نحت أثلتنا

كناطح صخرة يوماً ليوهنها

ولست ضايرها ما أطلت الإبل
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

٦ - شقار : كذاب . ويقال : جاء بالشقارى - مشقلاً ومخففاً - أى بالكذب .

٧ - القتات فسر « ابن الأثير » في حديث « لا يدخل الجنة قتات » بالتمام (النهاية في غريب الحديث :

قت) . وقت الحديث ، بالتشديد : زوره ، وقت أنز فلان : اتبعه سرّاً ليعلم ما يريد . وقت الأحاديث وقتها ، أبلغها على جهة الكذب والفساد .

٨ - الربض ، محرّكة : واحد الأرباض ، وهو ما حول المدينة من بيوت ومساكن .

بالدَّرْخَمِينِ وَأُمُّ حَبْوَكْرَى وَالْفُتُكْرَيْنِ^(١) ، بِل رُمَيْتُ بَابِدَةَ^(٢) الْآبَادِ
وَالدَّاهِيَةِ النَّادِ^(٣) ، فَلَمَّا دَخَلْتُهَا - وَبَعْدُ لَمْ تَسْتَقِرْ بِي الدَّارُ ، وَقَدْ نَكِرْتُهَا
لِفَقْدَانِ مَعْرِفَةِ وَجَارٍ - أَنْشَدْتُهَا بَاكِيًا :

إِذَا زُرْتُ أَرْضًا بَعْدَ طَوْلِ اجْتِنَابِهَا فَقَدْتُ حَبِيبًا وَالْبِلَادُ كَمَا هِيَ
كَانَ «أَبُو الْقَطْرَانِ ، الْمَرَارُ بْنُ سَعِيدِ الْفُقَعْسِيِّ» ، يَهْوَى ابْنَةَ عَمِّهِ
بِنَجْدٍ ، وَاسْمُهَا «وَحْشِيَّةٌ» فَاهْتَدَاهَا رَجُلٌ شَامِيٌّ إِلَى بَلَدِهِ . فَعَمَّهُ بَعْدُهَا ،
وَسَاءَهُ فِرَاقُهَا ، فَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ :

إِذَا تَرَكْتُ وَحْشِيَّةَ النَّجْدِ لَمْ يَكُنْ لِعَيْنِكَ مِمَّا تَبْكِيَانِ طَيْبُ
رَأْيٍ نَظْرَةً مِنْهَا فَلَمْ يَمْلِكِ الْبُكَاءُ مُعَاوِزُ يَرِيوُ تَحْتَهُنَّ كَثِيبُ^(٤)
وَكَانَتْ رِيَاحُ الشَّامِ تُكْرَهُ مَرَّةً فَقَدْ جَعَلَتْ تِلْكَ الرِّيَاحُ تَطْيِبُ
فَحَصَلْتُ مِنَ الرَّبَّاحِ^(٥) عَلَى الرِّيَاحِ ، كَمَا حَصَلَ «لَأَبِي الْقَطْرَانِ»
مِنْ «وَحْشِيَّةٍ» .

١ - الدررخمين ، بوزن شرحبيل : الداهية ، وأم حبوكرى ، وأم حبوكران : الداهية .
والحبوكرى رمل يفضل فيه السالك . والفتكرين ، بكسر الفاء وضمها ، وفتح التاء : الدواهي والشدائد .
وفى اللسان : وإنما لم يستعملوا الإفراد فى مثل فتكر وأقور ، حيث كانوا يصفون الدواهي بالكثرة
والاشتغال والغلبة . وانظر أيضاً (فقه اللغة للثعالبي ، ص ٥٨ ط الرحمانية) .

٢ - الآباد جمع أباد ، بمعنى الدهر ، ويقال : جئنا بأبدة ما نعرفها ، أى غريبة ، الجمع
أوايد ، ومنه أوايد الكلام غرائبه .

٣ - النَّاد كسحاب : هى التى تنادى المرء أى تفسده وتبلغ منه . ويقال أيضاً نؤود .

٤ - المعاوز : جمع معوز ومعوزة ، وهو الثوب الخلق ، وكل ثوب تصون به آخر .

٥ - الرباح ، بالفتح : الريح ، ما يربح .

الأعلام

- أبو القطران ، المرار بن سعيد الفقعسى : من أعلام الغفران .

ثم . . . ثم . . . ثم (١) . . ثم أجرى ذكره - أدام الله تأييده -
من غير سبب جرّه وغير مقتضٍ اقتضاه ، فقال :
الشيخ بالنحو أعلم من «سيويه» * ، وباللغة والعروض من «الخليل» *
فقلت والمجلس [يأذن] (٢) : بلغني أنه - أدام الله تأييده - يصغر كبيره ،
وينزر صغيره ، فيصير تصغيره تكبيراً و تحقيره تكثيراً . وهكذا شاهدت
من شاهدت من العلماء رحمهم الله أجمعين ، وجعله وارث أطول أعمارهم
وأنصرها وأرغدها . وما ثم له حاجة دعت إلى هذا : قد تفتح النور وتوضح
النور ، وأضاء الصبح لذي عينين !

* * *

كان «أبو الفرج الزهرجى» * * * كاتبُ حضرة نصر «الدولة» * * *
- أدام الله حراسته - كتب رسالةً إلى أعطانيها ، ورسالةً إليه - أدام الله
تأييده - استودعنيها ، وسألني لإيصالها إلى جليلِ حضرته ، وأكون نافثها
لا باعثها ، ومُعجلها لا مؤجلها . فسرق عليّ رَحلاً (٣) لي ، الرسالة فيه ،

١ - كذا في كل النسخ ، ولم نحاول التماس ما يسد هذا السقط ، فقد وصلت الرسالة هكذا إلى
أبي العلاء فقال : « فأما الفصل الذي ذكر فيه الخليل ، فقد سقط منه اسم الذي غلا في » أي في
مدحى . (انظر صفحة ٤٠٣ من رسالة النفران) .

٢ - في ج : [بأرز] وكذلك نقلت في ع ، ع . ويأذن : يسمع ، أو يصنى .

٣ - سقط من [ي] .

الأعلام

- * - سيويه : أبو بشر ، عمرو بن عثمان - انظره في أعلام النفران .
- ** - الخليل : بن أحمد ، أبو عبد الرحمن - انظره في أعلام النفران .
- *** - أبو الفرج الزهرجى : انظره في أعلام النفران .
- **** نصر الدولة : أحمد بن مروان ، أبو نصر ، صاحب ميفارقين وديار بكر . ولها
عام ٤٠١ واستمرت دولته إحدى وخمسين سنة . وكان عالي الهمة حازماً حريصاً على الدين والدنيا .
قصد شمراء عصره وبلدحوه . توفي سنة ٤٥٣ . (وفيات الأعيان ، وشذرات الذهب ٢/٢٩٠) .

فكَبِتْ هذه الرسالة أشكو أموري وأبث سُقُورِي^(١) ، وأطلِعُه طَلَعَ عَجْرِي
وَبُجْرِي^(٢) ، وما لقيتُ في سَفَرِي من أَقْيَومٍ يَدْعُونِ العِلْمَ والأدبَ ، والأدبُ
أدبُ النَّفْسِ لا أدبُ الدرسِ ، وهم أَصْفَارٌ مِنْهَا جَمِيعاً ، ولهمُ تَصْحِيفَاتُ
كنتُ إذا رَدَدْتُهَا عَلَيْهِمْ ، نَسَبُوا التَّصْحِيفَ إِلَيَّ ، وصاروا إلباً^(٣) عليّ .

لقيتُ «أبا الفرج الزهرجى» بـ «آمد» * ومعهُ خِزَانَةٌ كُتِبَ ، فَعَرَضَهَا عَلَيَّ
فقلتُ : كُتِبَكَ هذه يهوديةٌ ، قد برئتُ من الشريعةِ الحنيفيةِ ، فأظْهَرَ
من ذلكِ إعظماً وإنكاراً ، فقلتُ له : أنتَ على المُجْرَبِ ، ومثلي لا يَهْرِفُ^(٤)
بما لا يعرفُ ، وإبْلُغْ تَبَيَّنَ . فقرأ هو وولده وقال : صَغَرَ الخُبْرُ^(٥) الخَبْرُ .
وكتب إليّ رسالةٌ يُقَرِّطُنِي فيها بطبعٍ له كريمٍ ، وخَطَّقِي غيرِ ذَمِيمٍ^(٦) .

١ - الشقور ، بالضم - وقد يفتح : الحاجة ، والهـم ، والأمور الالاصقة بالقلب المهمة له .
الواحد شقر ، بفتح فسكون .

٢ - المعجر والبيجر : العيوب والموم ، وقولم : أفضيت إليك بـعجري وبعجري ، أى أمرى
كله . وعن ابن الأعرابي : إذا كان في السرة فحة فهي بجرة ، وإذا كانت في الظهر فهي عجرة ، ثم
يتقلان إلى الموم والأحزان .

٣ - الألب : الحشد والتجمع ، والإلب : القوم تجمعهم عداوة واحد . يقال : صاروا عليه
إلباً إذا اجتمعوا على عداوته . وتألبوا عليه : تجمعوا .

٤ - يهرف : يهذى . وهرفته الريح : استخفته . وهو يهرف بفلان : يطلب في الثناء شبه
الهديان .

٥ - الخبر ، بضم فسكون : الاختبار ، ويقال : مال به خبر أى علم .

٦ - في الانتقال من هذه الفقرة إلى الفقرة التالية ، بعض قلق . وكنت من قبل أميل إلى الظن بأن هنا
سقطاً . لكنى الآن أراه من مألوف أسلوب ابن القارح وعصره .

الأعلام

• آمد : من أعلام الأماكن في الغفران .

قال «المتنبى» * :

• أذمُّ إلى هذا الزمانِ أهيلَه (١) •

صغرهم تصغير تحقير غير تكبير ، وتقليل غير تكثير ، فنفت مصدرًا ، وأظهر ضميرًا مستورًا . وهو سائغ في مجاز الشعر ، وقائله غير ممنوع من النظم والنثر ، ولكنه وضعه غير موضعه ، وخاطب به غير مستحقه (٢) . وم يستحق زمان ساعده بلقاء «سيف الدولة» * أن يطلق على أهله الذم وكيف وهو القائل :

أسيرُ إلى إقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحسامه (٣)
وقد كان من حقه أن يجعلهم في خيفته (٤) ، إذ كانوا منسوبين إليه محسوبين عليه . ولا يجب أن يشكرو (٥) عاقلاً ناطقاً إلى غير عاقل ولا ناطق إذ الزمان حرركات الفلك ، إلا أن يكون ممن يعتقد أن الأفلاك تعقل وتعلم وتفهم ، وتدرى بمواقع أفعالها ، بقصود وإرادات . ويحمله هذا الاعتقاد على أن يقرب لها القرابين ويدخن الدخن (٦) ، فيكون مناقضاً لقوله

١ - تمام البيت :

• فأعلمهم قدم وأحزمهم وفد •

وقد علق أبو العلاء في (رسالة الغفران) على حديث ابن القارح هنا ، بأن المتنبى إنما قال هذا البيت في • على بن محمد بن سيار - بأنطاكية • قبل أن يمدح سيف الدولة ، فضلاً عن أن المتنبى كان مولده بالتصغير ، والشعراء مطلق لهم ذلك . انظر ص ١٦٤ وما بعدها .

٢ - في : [مستمه] تحريف .

٣ - الطرف ، بكر فسكون : الفرس الكرم ، والبيت من قصيدة له يمدح سيف الدولة ويودعه إلى إقطاع من عثائه . الديوان ص ٣ ط الحلبي ١٩٣٦ .

٤ - الضمير هنا لسيف الدولة .

٥ - الضمير هنا للمتنبى في ذمه أهيل الزمان إليه .

٦ - الدخن : البخور ، ويقال : تدخن الرجل وادخن ، إذا تبخر ، والمدخنة : الحجرة .

الأعلام

• - المتنبى : أحمد بن الحسين ، انظره في أعلام الغفران .

•• - سيف الدولة : على بن عبد الله الحمداني ، انظره في أعلام الغفران .

فَتَبًّا لِدِينِ عبيدِ النجوى مَ وَمَنْ يَدْعِي أَنهَا تَعْقِيلٌ^(١)
 أَوْ يَكُونُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ : «مُذَبَذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ
 لَا إِلَى هُوَ لَا وَلَا إِلَى هُوَ»^(٢) وَيُوشِكُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ صِفَتَهُ .

حَكَى «الْقَطْرُبِيُّ*» وَ «ابْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ**» فِي كِتَابِ اجْتِمَاعِ عَلَى
 تَصْنِيفِهِ - وَأَهْلُ بَغْدَادَ وَأَهْلُ مِصْرَ ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَمْ يُصَنَّفْ فِي مَعْنَاهُ مِثْلَهُ ،
 لَصِغَرِ حَجْمِهِ وَكِبَرِ عِلْمِهِ - يَحْكِيَانِ فِيهِ أَنَّ «الْمُتَنَبِّيَّ» أَخْرَجَ بِبَغْدَادِ*** مِنْ
 الْحَبْسِ إِلَى مَجْلِسِ «أَبِي الْحَسَنِ» عَلَى بِنِ عَيْسَى الْوَزِيرِ - رَحِمَهُ اللهُ ****
 فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَحْمَدُ الْمُتَنَبِّيُّ ؟ فَقَالَ : أَنَا أَحْمَدُ النَّبِيُّ^(٣) . وَكَشَفَ عَنْ
 بَطْنِهِ فَأَرَاهُ سَلْعَةً فِيهِ وَقَالَ : هَذَا طَابِعُ نُبُوَّتِي وَعِلَامَةُ رِسَالَتِي . فَأَمَرَ بِقَلْعِ

١ - البيت من لامية المتنبى في مدح سيف الدولة ، ومطلهما : (الديوان : ٦٦/٣ ط الحلبي) .

أيتفع في الخيمة العذل ويشمل من دهرها يشمل

٢ - من آية ١٤٣ سورة النساء .

٣ - ف ع : [المتنبى -] وهامش (ج) حاشية ، بمداد أحمر بخط الناسخ نصها : « في جزء
 من تذكرة ابن العديم بخطه ما نصه : وهذا عجيب ، فإن المتنبى ولد سنة ٣٠٣ هـ على ما رواه "ابن
 الساربال" - وغيره من الرواة ، فكيف تصح هذه الحكاية قبل مولده ؟ وقد جاء في بعض الروايات أنه
 ولد سنة إحدى وثلاثمائة ، فعل كل حال ، لا يصح ما نقل ابن أبي الأزهر وأبو محمد . أو يكون
 هذا المتنبى غير أبي الطيب المتنبى والله أعلم » . ثم ذيلت هذه الحاشية بما نصه : « صح بعد ذلك أنه غير
 أبي الطيب ، وهو أحمد بن عبد الرحيم الأصبهاني » وقد نقلت الحاشية هامش (د) .
 ولم أنهم وجه التعليق والإنكار هنا ، وقد كان على بن عيسى وزيراً للقاهر ببغداد حوالي سنة ٣٢١ هـ ،
 وسن المتنبى إذ ذلك حول العشرين .

الأعلام

* - القطريلي : أبو الحسن ، أحمد بن عبد الله - انظره في أعلام الغفران .

** - ابن أبي الأزهر : أبو بكر ، محمد بن أحمد الخزامي - انظره في أعلام الغفران .

*** - بغداد : عاصمة العراق .

**** - أبو الحسن ، على بن عيسى بن داود بن الجراح ، البغدادي الكاتب الوزير ، وزير
 مرات للمقتدر ثم للقاهر ، وكان محدثاً عالماً ديناً خيراً حتى شهبه في الوزراء بعمر بن عبد العزيز في
 الخلفاء . مات سنة ٣٣٤ هـ وعمره تسعون سنة . انظر (تاريخ بغداد ، وشذرات الذهب ٣٣٩/٢) .

جُمْشُكُو (١) وَصَفَهُ بِهِ خَمْسِينَ ، وَأَعَادَهُ إِلَى مَجْبِسِهِ .

وَيَقُولُ « لَسِيفِ الدَّوْلَةِ » :

وَتَغْضِبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِنْزُ (٢)

وَكَذَّبَ (٣) ، وَاللَّهُ ، لَقَدْ كَانَ يَتَحَرَّشُ بِالْمَكَارِمِ وَيَتَحَكَّكُ بِهَا ، وَيَحْسُدُ

عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا مِنْهُ وَبِهِ (٤) . وَهَذَا غَيْرُ قَادِحٍ فِي طَلَاوَةِ شَعْرِهِ وَرَوْنَقِ

دِيْبَاجَتِهِ . وَلَكِنِّي أَغْتَاطُ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْمُحَلِّدِينَ الَّذِينَ يَتَلَاعَبُونَ بِاللِّدِينِ ،

وَيُرُومُونَ إِدْخَالَ الشُّبَّهِ وَالشُّكُوكِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَيَسْتَعْذِبُونَ الْقَدْحَ فِي نَبْوَةِ

النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَيَتَطَرَّفُونَ (٥) وَيَبْتَدِئُونَ إِعْجَاباً بِذَلِكَ

الْمَذْهَبِ :

* تِيَهُ مَعْنٌ وَظَرْفٌ زَنْدِيقٍ * (٦)

وَقَتْلُ « الْمَهْدِيِّ » * « بِشَاراً » ** عَلَى الزَّنَادِقَةِ ، وَلَمَّا شَهَرَ بِهَا وَخَافَ ،

دَافِعٌ عَنِ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ :

يَا ابْنَ نَهْيَا ، رَأْسِي عَلَى ثَقِيلٍ وَاحْتِمَالُ الرَّأْسِينَ عِبءٌ ثَقِيلٌ

فَادُعٌ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبِّي نَ فِلَانِي بِوَاحِدٍ مَشْغُولٌ

١ - الجمشك : نوع من الخفاف ، فارسية معربة . وأرجح أن الضمير فيه للمتنبى ، وكأنما أكبر

الوزير التقى جمشكه أن يضرب به هذا المتنبى !

٢ - الرقد : العطاء - والمنز : جمع منه وهي هنا تعداد النعم ، على سبيل المن . والبيت من قصيدة

للمتنبى بمصر ، يشكو سيف الدولة ، ومطلعهما في (الديوان ٢٣٣/٤) :

بم التمثل ؟ لا أهل ، ولا وطن ولا نديم ، ولا كأس ، ولا سكن

٣ - في ي ، ع : [كذب] والواو في (ج) شبه ضائعة ، لثقب في مكانها .

٤ - الضائر هنا لسيف الدولة .

٥ - في ع : [ويتطرقون] .

٦ - لأبي نواس - انظره في شواهد النفران .

الأعلام

* - للمهدى : الخليفة العباسي - انظره في أعلام النفران .

** - بشار : بن برد - انظره في أعلام النفران .

وَأَحْضَرَ النَّطْعَ وَالسِّيَافَ ،
فَقَالَ : عَلَامَ تَقْتُلُنِي ؟ قَالَ : عَلَى قَوْلِكَ :

رُبَّ سِرٍّ كَتَمْتُهُ فَكَأَنِّي أَخْرُسُ ، أَوْ ثَنَى لِسَانِي عَقْلٌ^(١)
وَلَوْ أَنِّي أَظْهَرْتُ لِلنَّاسِ دِينِي لَمْ يَكُنْ لِي فِي غَيْرِ حَبْسِي أَكْلٌ
يَا عُدَىَّ اللَّهُ وَعُدَىَّ نَفْسِي :

السُّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ زَنْدِيقًا وَقَدْ ثُبْتُ عَنِ الزَّنْدِيقَةِ .

قَالَ : كَيْفَ وَأَنْتَ الْقَاتِلُ :

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ عَادَاتِهِ^(٢) حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا ارْغَوَى عَادَ إِلَى غَيْبِهِ كَلَذَى الضَّنَى عَادَ إِلَى نَكْبِهِ

وَأَخَذَ غَفْلَتَهُ السِّيَافُ ، فَإِذَا رَأْسُهُ يَتَدَهَّدُ عَلَى النَّطْعِ .

١- الحديث هنا عن « المهمل » .

٢- في ع : [صالح بن القدوس] .

٣- المقل : القيد ، من عقل البعير عقلا : قيده ، ثنى وظيفه على ذراعه فشدها مما يجعل هو
المقال . واحضله كذلك .

٤- يروى : [أخلاقه] . وقد جاءت بهامش (ج) ورفها : خ ، أي نسخة .
وهي رواية القائل في أماليه . (انظر سمط اللآلئ ١/١٠٥ ط ١٩٣٦) .

وظهر في أبيه في بلد خُفّ «بُخارى» * وراء النهر ، رجلٌ قصارٌ**
 أعورٌ ، عمِلَ له وجهاً من ذقَبِ وخوطبَ بربُّ العِزَّةِ ؛ وعَمِلَ لهم قَمَرًا فوق
 جبلٍ ارتفاعُهُ فَرَايخُ ، فَأَنفَذَ «المهدى» إليه فأحيط به وبِقَلْعَتِهِ ، فحرق
 كلَّ شَيْءٍ فيها ، وجمع كلَّ مَنْ في البلدِ وسقامَ شراباً مسموماً ، فماتوا
 بأجمعِهِمْ ، وشرب فلَحِقَ بهم ، وعجَّلَ اللهُ بروجِهِ إلى النار .

و«الصناديق»*** ، في اليمن ، [كانت] (١) جيوشه بـ «المَلِيخِرَةِ»****
 وسَفَهَنَةَ « وخوطبَ بربُّ العِزَّةِ ، وكوَتِبَ بها ، فكانت له دارٌ إفاضة يَجْمَعُ
 إليها نِسَاءَ البلَدَةِ كُلِّهَا وَيُدْخِلُ عليهن ليلاً . قال مَنْ يُوثِقُ بِخَبْرِهِ : دَخَلَتْ
 إليها لَأَنْظُرَ ، فسمِعَتْ امرأةً تقولُ : يا بُنَيَّ ! فقال : يا أُمَّهُ ، نريدُ أَنْ
 نُحْضِيَ أَمْرَ وَلِيِّ اللهِ فينا !

وكان يقولُ : «إِذَا فَعَلْتُمْ هذا لم يَتَمَيِّزَ مالٌ من مالٍ ولا وَلَدٌ من ولدٍ ،
 فتكونوا» (٢) ، كنفيس واحدة . ففراه «الحسني»***** من صنعاء *****
 فهزَمَهُ ، وَتَحَصَّنَ منه في حِصْنٍ هناك ، فَأَنفَذَ إليه «الحسني» طبيياً بمبضع
 مسمومٍ ففَصَدَهُ به فقتله

و «الوليدُ بنُ يزيدٍ»***** ، أقام في المُلْكِ سنةً وشهرين وأياماً ،
 وهو القاتل :

١- إضافة احتاج إليها السياق . ٢- في ع : [فتكونون] .

الأعلام

- * - بخارى : بالضم ، من أعظم مدن ما وراء النهر ، كانت قلعة ملك السامانية - ياقوت ١/٣٢٣
- ** - القصار الأعور : - المقنع الخراساني ، انظره في أعلام الفهران
- *** - الصناديق : المنصور ، انظره في أعلام الفهران .
- **** - المديخرة ، سفهنة : من مدن اليمن ، في بلاد همدان .
- ***** - الحسني : قائد يمني في القرن الثالث الهجري .
- ***** - صنعاء : المدينة المشهورة باليمن .
- ***** - الوليد بن يزيد : الأموي ، انظر أعلام الفهران

إِذَا مِتُّ يَا أُمَّ الْخُنَيْكِلِ فَانكِحِي^(١)

وَلَا تَأْمَلِي بَعْدَ الْفِرَاقِ تَلَاقِيَا

فَإِنَّ الَّذِي حَدَّثْتِهِ مِنْ لِقَائِنَا

أَحَادِيثُ طَسْمٍ تَتْرِكُ الْعَقْلَ وَاهِيَا !

وروى المصحفَ بالنشأِبِ وخرقه وقال :

إِذَا مَا جِئْتَ رَبِّكَ يَوْمَ حَشْرٍ فَقُلْ : يَا رَبَّ خَرَّقَنِي « الْوَلِيدُ »

وَأَنْفَذَ إِلَى « مَكَّةَ » بِنَاءً مَجُوسِيًّا لِيَبْنِي لَهْ عَلَى الْكَعْبَةِ مَشْرَبَةً ، فَمَاتَ

قَبْلَ تَعَامٍ ذَلِكَ . فَكَانَ الْحُجَّاجُ يَقُولُونَ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ! لَبَّيْكَ

يَا قَاتِلَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ . لَبَّيْكَ !

وَأَحْضَرَ بُنَابِجَةً^(٢) مِنْ ذَهَبٍ وَفِيهَا جَوْهَرَةٌ جَلِيلَةٌ الْقَدْرُ ، [...^(٣)] صُورَةٌ

رَجُلِي . فَسَجَدَ لَهُ وَقَبْلَهُ وَقَالَ : اسْجُدْ لَهْ يَا عَلِجُ ! قُلْتَ^(٤) : وَمَنْ هَذَا ؟

قَالَ : هَذَا « مَانِي »^(٥) . شَأْنُهُ كَانَ عَظِيمًا ، اضْمَحَلَّ أَمْرُهُ لَطَوِيلَ الْمُدَّةِ .

فَقُلْتُ : لَا يَجُوزُ السُّجُودُ إِلَّا لِلَّهِ . فَقَالَ : قُمْ عِنَّا .

وَكَانَ يَشْرَبُ عَلَى سَطْحٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ بَاطِيَةٌ كَبِيرَةٌ بِلُورٍ^(٦) وَفِيهَا أَقْدَاحٌ ،

١ - الخنيكل : تصغير الخنكل : القصير ، واللثيم ، والبخيل . والأثنى حنكلة ، وهي أيضاً ،

الدميمة السوداء من النساء . وطسم : من قبائل العرب البائدة .

٢ - في النسخ الثلاث [البنابجة] بالياء . وفي رد أبي العلاء بالعفران : [البنابجة] ولم تهتد إلى معناها

بعد . ولا اهتدى إليها من نقلوا عنا طبعي بيروت .

٣ - كذا في النسخ الثلاث . وقد يحتاج السياق إلى لفظ [على] أو نحوه .

٤ - ليس في النص الذي بأيدينا ، ما يشير إلى المتحدث هنا ، فإذا لم يكن النساخ قد أسقطوا

شيئاً ، فالظن عندنا أن ابن القارح نقل الحادثة هكذا دون التفات إلى الراوي . وانظر معه حديث الجنابي ،

في الصفحة التالية .

٥ - في ي : [ما في هذا ، شأنه كان عظيماً] . و « ماني » : معبود المانوية من الفرس .

٦ - كذا في النسخ الثلاث ، ولعل النقلة غيروا موضع (بلور) سهواً ، فتكون العبارة : [باطية

كبيرة ، وفيها أقداح بلور] .

فقال لندمائِه : أين القمرُ الليلة ؟ فقال بعضهم : في الباطية ! فقال : « صدقت ! أتيت على ما في نفسي ، والله لأشربنَّ الهفتجة » يعنى شُرْبَ سبعةِ أسابيعٍ متتابعةٍ .

وكان بموضعٍ حولَ « دمشق » * يُقال له « البحر » فقال : تَلَعَبَ بالنبوةِ هاشمىُّ بلا وحيٍ أتاه ولا كتابٍ فقتلَ بها ، ورأيت رأسه في الباطية التي أراد أن يهفتجَ بها .

و « أبو عيسى بنُ الرشيد » ** القائلُ :

دهاني شهرُ الصَّومِ لا كان من شهرٍ ولا صُمتُ شهراً بَعْدَهُ آخِرَ الدهرِ ولو كان يُعديني الإمامُ بقدره على الشهرِ ، لاستعديتُ دهرى على الشَّهرِ عَرَضَ له في وقتِه صَرَخُ فمات ولم يُدركَ شهراً غيرهَ والحمدُ لله .

و « الجنابيُّ » *** قتلَ بمكةَ ألوفاً ، وأخذَ ستةَ وعشرينَ ألفَ [جمل] (١) خيفاً ، وضربَ آلاتِهِم وأثقالَهُم بالنارِ ، واستملكَ من النساءِ والغلمانِ والصبيانِ مَنْ ضاقَ بِهِم الفضاءُ كثرةً ووفوراً ، وأخذَ حجرَ الملتزمِ وظنَّ أنَّها مغناطيسُ القلوبِ ، وأخذَ الميزابَ . قال : وسمعتُ (٢) قائلاً يقولُ لغلامٍ دُحَسَمَانَ (٣) طوَالَ يَرْفُلُ في بُرْدِيهِ وهو فوقَ الكعبةِ : « يا رَحْمَه ، اقلِّعه

١ - كذا في ر . وهو أولُ من رواية الأصل : [جمل] بالحاء المهملة - وأخذهم خفاً أى سراعاً بغير مشقة .

٢ - المتحدث هنا غير ابن القارح ، فإن الجنابي قطع الحاج سنة ٣١٢ ثم سنة ٣١٧ ، قيل أن يولد « ابن القارح » وأغلب الظن أنه هنا يروى عن آخر ، أو لعله نقل الخبر دون التفات إلى ذكر رايه كما فعل في قصة « الوليد بن يزيد » . انظر رقم ٤ هامش الصفحة السابقة .

٣ - الدحسان والدحسان : الأسود الغليظ ، وقد يلحق ههما ياء للنسب فيقال : دحسانى ودحسانى . وعن ابن سيده : الدحسان العظيم مع سواد . وفي (الصحاح) : الدحسان : الآدم السين ، وقد يقلب فيقال : الدحسان . وانظر (كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٢٣١ ، ١٣٦)

الأعلام

- - دمشق : عاصمة سورية . من أعلام القفران .
- - أبو عيسى بن الرشيد : العباسي : انظره في أعلام القفران .
- - الجنابي : أبو طاهر سليمان بن الحسن أبي سعيد القرمطى - انظره في أعلام القفران .

وأسرغ^١ يعني ميزاب الكعبة . فعلمت أن أصحاب الحديث صحّفوه فقالوا :
 يقلّعه غلام اسمه رَحْمَة ؛ كما صحّفوا على «علي» رضي الله عنه قوله :
 تَهْلِكُ البَصْرَةُ* بالريح . فهلكت بالزنج ، لأنه قتل «علوي البصرة»**
 في موضع بها يقال له «العقيق» أربعة وعشرين ألفاً ، عدّوهم بالقصب ؛
 وحرّق جامعها ، وقال في خطبته يخاطب الزنج : «إنكم قد أعنتم بقبح
 مظهر فاشفعوه بقبح مخبر : اجعلوا كلّ عامٍ قفراً وكلّ بيتٍ قبراً» . قال لي
 بدمشق «أبو الحسين اليزيدي الوزيني»*** (١) : على نسب جدّي
 دخل ، وإياه ادّعى .

وقال «أبو عبد الله بن محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي» **** :
 كنت بمكة وسيف «الجنابي» قد أخذ الحاج ، ورأيت رجلاً منهم قد قتل
 جماعةً وهو يقول : يا كلاب ، أليس قال لكم «محمد» المكي : «ومن
 دخله كان آمناً» (٢) أي أمنٍ هنا ؟ فقلت له : يا فتى العرب ، تؤمنني
 سيفك أفسر لك هذا ؟ قال : نعم . قلت : فيها خمسة أجوبة ، الأول ،
 ومن دخّله كان آمناً من عذاب يوم القيامة ؛ والثاني ، من قرّض الذي فرضت

١ - كذا في (ي) - واللفظ في (ج) غير واضح ، وأقرب ما يكون إلى : [الوزيني] ، وفي ع :
 (الوزير بن علي نسب) وهو تحريف يفسد العبارة .

٢ - يشير إلى قوله تعالى : «مقام إبراهيم ومن دخّله كان آمناً» من آية آل عمران ٩٧ .

الأعلام

- - البصرة : مدينة العراق ، راجع في الفران حديث خرابها في فتنة الزنج .
- - علوي البصرة : أو العلوي البصري ، صاحب الزنج - انظره في أعلام الفران .
- - أبو الحسن اليزيدي : (الوزيني ؟) - ولم نهد بعد إلى معرفة شخصيته ، والسياق يفهم
 أنه علوي من القرن الرابع ، بدليل قوله إن علوي البصرة ، دخل على نسب جده ، وإياه ادعى .
- - أبو عبد الله ، محمد بن علي بن رزام الطائي ، لم نهد إليه في مراجعتنا ، وحديثه عن أخذ
 الجنابي للحاج ، يدل على أنه عاش في الربع الأول من القرن الرابع الهجري .

عليه ؛ والثالث ، خرج مخرج الخبر وهو يريدُ الأمرَ كقوله : «المطلقاتُ
يترَبِّصُنَّ بأنفسِهِنَّ»^(١) ؛ والرابعُ ، لا يُقامُ عليه الحدُّ فيه إذا جنى في الحِلِّ ؛
والخامسُ ، منَ الله عليهم بقوله : «أنا جعلنا حرماً آمناً ويُخطفُ الناسُ من
حوْلِهِمْ»^(٢) فقال : صدقتَ ، هذه الحيةُ إلى توبةٍ؟ فقلتُ : نعم . فخلاني وذهب .

و «الحُسَيْنُ* بنُ منصورِ الحلاجُ » من «نيسابور» ** وقيل : من
«مرو» ** ، يدعى كُلُّ علمٍ ، وكان مُتهوراً جسوراً يرومُ إقلابَ الدولِ
ويدعى فيه أصحابه الإلهيةَ ، ويقولُ بالحلولِ ، ويظهرُ مذاهبَ الشيعةِ
لللوكةِ ، ومذاهبَ الصوفيةِ للعامَّةِ ، وفي تضاعيفِ ذلك يدعى أن الإلهيةَ قد
حلَّتْ فيه . ونظره «علِيُّ بنُ عيسى الوزيرُ» *** فوجدَه صِفراً من العلومِ ،
وقال : «تعلَّمْكَ لِطهورِكَ وفرضِكَ ، أجدى عليك من رسائلِ أنتَ لا تدرى
ما تقولُ فيها ؛ كم تكتبُ إلى الناسِ : تباركَ ذو النورِ الشَّعْشَعَانِي الذي
يلمعُ بعد شعْشعتهِ ! ما أحوجكَ إلى أدبٍ !»

حدثني «أبو عليِّ الفارسيُّ» **** قال : «رأيتُ الحلاجَ واقفاً على
حلقةِ أبي بكرِ الشُّبليِّ ***** ، أنتَ بالله ستفسدُ خشيتَه^(٣) . فنفضَ
كُمه في وجهه وأنشد :

١- من آية ٢٢٨ سورة البقرة .

٢- من آية ٦٧ سورة النكبات و صدر الآية : «أو لم يروا .

٣- في ج : [ستفسد خشته] وفي ي ، ع : [ستفسد خشية] والعبارة غامضة ، لا تعين قائلها ،
ورجحنا أن تكون من قول أبي بكر الشبلي للحلاج ، ينني عليه أنه - بقوله بالحلول - سيفسد الشعور
بخشية الله ، فنفض الحلاج كفه في وجه الشبلي وأنشد الأبيات الثلاثة .

الأعلام

- * - الحسين بن منصور الحلاج : من أعلام الغفران .
- ** - نيسابور ، ومرو : من مدن خراسان ، انظرهما في ياقوت : ٣٥٦/٨ ، ٢٣/٨ .
- *** - علي بن عيسى الوزير : أبو الحسن - صفحة ٢٩ .
- **** - أبو علي الفارسي : الحسن بن أحمد - من أعلام الغفران .
- ***** - أبو بكر الشبلي : الزاهد المتصوف - من أعلام الغفران .

يا سِرٌّ سِرٌّ يَدِيقٌ حَتَّى يَجِلَّ عَنْ وَصْفِ كُلِّ حَيٍّ (١)
 وظاهراً باطناً تَبَدَّى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لِكُلِّ شَيْءٍ
 يا جُمْلَةً الكُلِّ لَسْتَ غَيْرِي فَمَا اعْتَذَارِي إِذَا إِلَى !»

وهو يَعْتَقِدُ أَنَّ العارِفَ مِنْ (٢) اللهُ بِمَنْزَلَةِ [شُعَاعِ] (٣) الشَّمْسِ ، مِنْهَا بَدَأَ
 وَإِلَيْهَا يَعُودُ ، وَمِنْهَا يَسْتَمِدُّ ضَوْؤَهُ .

أَنْشَدَنِي « الظَّاهِرُ » * لِنَفْسِهِ (٤) :

أَرَى جَيْلَ التَّصَوُّفِ شَرَّ جَيْلٍ فَقُلْ لَهُمْ ، وَأَهْوَنُ بِالْحُلُولِ
 أَقَالَ اللهُ حِينَ عَشَقْتُمُوهُ كُلُّوْا أَكْلَ البَهَائِمِ وَارْقُصُوا لِي ؟

وَحَرَّكَ يَوْمًا يَدَهُ فَانْتَشَرَ عَلَى قَوْمٍ (٥) مِنْكَ ، وَحَرَّكَ مَرَّةً أُخْرَى فَانْتَشَرَ
 دَرَاهِمُ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ مَعَهُ يَمْنُ بِمَنْهُمْ : أَرِنِي دَرَاهِمَ [غَيْرِ] مَعْرُوفَةَ (٦) ، أَوْ مَن
 بِكَ وَخَلَقْتُ مَعِيَ إِنْ أَعْطَيْتَنِي دَرَهْمًا عَلَيْهِ اسْمُكَ وَاسْمُ أَبِيكَ . فَقَالَ : وَكَيْفَ
 هَذَا وَهَذَا لَا يُصْنَعُ ؟ قَالَ : مَنْ أَحْضَرَ مَا لَيْسَ بِحَاضِرٍ ، صَنَعَ مَا لَيْسَ بِمُصْنُوعٍ .

وَكَانَ فِي كُتُبِهِ : « إِنْ مَغْرِقُ قَوْمِ نُوْحٍ وَمُهْلِكُ عَادٍ وَثُمُودَ »

فَلَمَّا شَاعَ أَمْرُهُ وَعَرَفَ السُّلْطَانُ خَبْرَهُ عَلَى صِحَّةٍ ، وَقَعَ بِضَرْبِهِ أَلْفَ
 سَوْطٍ ، وَقَطَعَ يَدَيْهِ ؛ ثُمَّ أَحْرَقَهُ بِالنَّارِ فِي آخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

١ - الأبيات للحلاج ، انظر رأى أبي العلاء فيها ، في الغفران .

٢ - في ع : [العارف ابن الله] تحريف فاحش !

٣ - سقطت كلمة [شعاع] من ج ، وكتب بالهامش : [لعله : بمنزلة شعاع الشمس] وكذلك في ي .

٤ - البيتان ، نسبهما ابن الهبارية ، فقلا عن الخطيب التبريزي ، إلى أبي العلاء المرعي - راجع ترجمة أبي العلاء في (ياقوت) .

٥ - في ع : [عل قول] . والحديث هنا عن « الحلاج » .

٦ - في النسخ الثلاث ، [دراهم معروفة] والسياق يحتاج إلى إضافة [غير] .

الأعلام

٥ - الظاهر : شاعر من القرن الخامس الهجري ، ولم أهدأ إلى اسمه . راجع (تعريف القديما بأبي العلاء) صفحة ٨٣ ، وراجع معه فهرست الأعلام بالتعريف ؛ حرف الظاه : « الظاهر الشاعر » .

وقال لـ «حامد بن العباس» * : أنا أهلكك . فقال «حامد» : الآن
صَحَّ أَنْكَ تَدْعِي مَا قُرِفْتَ بِهِ ^(١) .

و «ابنُ» * أبي [المزاهر] ^(٢) ، أبو جعفر ، محمد بنُ عليّ [الشلمغاني] ^(٣) ،
أهلُهُ من قرية من قرى «واسط ***» تُعرَفُ بِشَلْمَغَانَ ، وصورته صورةُ
«الحلاج» ^(٤) ويدعى عنه قومٌ أنه إله ، وأنَّ الله حلَّ في «آدم» ثم في
«شيث» ثم في واحدٍ واحد من الأنبياء والأوصياء والأئمة حتى حلَّ في
«الحسن بن عليّ العسكري» **** ، وأنه حلَّ فيه ^(٥) . وكان قد استغوى
جماعةً منهم «ابنُ أبي عون» ***** صاحبُ كتابِ (التشبيه) ، ومعه
ضربتْ عنقه . وكانوا يُبيحونه حرَمَهُم وأموالَهُم ^(٦) يتحكَّمُ فيهم ، وكان
يتعاطى الكيمياء ، وله كُتُبٌ معروفة .

وكان «أحمد بن يحيى الراوندى *****» من أهلِ «مرو الروذ *****»

- ١ - قرف بالشيء : آثم به ، واقرنوا الإثم وقارف الخليفة : خالطها . والحوار هنا بين حامد ، والحلاج .
- ٢ - في النسخ الثلاث : [المزاهر] تصحيف ، راجع الأعلام .
- ٣ - في النسخ الثلاث : [الشلمغان] تصحيف ، راجع الأعلام .
- ٤ - في ٥ : [الحجاج] تحريف .
- (٥) الضمير لابن أبي المزاهر .
- ٦ - في ٤ : [وأولادهم] .

الأعلام

- - حامد بن العباس : الوزير ، من أعلام القرن الثالث الهجري ، توفي سنة ٣١١ هـ ، راجع الشنور لابن الجوزي ، والشذرات ٢/٢٦٣ .
- - ابن أبي المزاهر : أبو جعفر الشلمغاني - انظره في أعلام الغفران .
- - واسط : اسم لعدة مواضع ، أحصاها ياقوت في معجمه (الجزء الثامن ٣٧٨ : ٣٨٧) والمراد بها هنا واسط الحجاج ، بين البصرة والكوفة ، شرع الحجاج في عمارتها سنة ٨٣ وفرغ منها سنة ٨٦ هـ . ومن أعمالها قرية شلمغان كما نص ياقوت .
- - الحسن بن عليّ العسكري : بن عليّ الهادي ، بن محمد الجواد ، بن عليّ الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق : أحد الأئمة الاثني عشر ، وأبو الإمام محمد الملقب بالحجة وبالمهدي والمختار . توفي الإمام الحسن سنة ٢٧٠ هـ . انظر الشذرات ٢/١٤١ ، ١٥٠ .
- - ابن أبي عون : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ، انظره في أعلام الغفران .
- - أحمد بن يحيى الراوندى : انظره في أعلام الغفران .
- - مرو الروذ : مدينة قريبة من «مرو» العظمى بخراسان ، وبها مات المهلب بن أبي صفرة . (بلدان ياقوت) .

حَسَنَ السُّنَنِ^(١) جَمِيلَ المَذْهَبِ ، ثُمَّ انْسلَخَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِأَسْبَابٍ عَرَضَتْ لَهُ . وَلَئِنْ عَلِمَهُ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ عَقْلِهِ ، وَكَانَ مِثْلُهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ يُطِيقُ مَرَدًّا^(٢) عِنْدَ صَبْوَتِهِ وَمَنْ يَقُومُ لِمُسْتَوْرٍ إِذَا خَلَعَا ؟

صَنَّفَ^(٣) :

(كِتَابَ التَّاجِ) يَحْتَجُّ فِيهِ لِقِدَمِ الْعَالَمِ ، فَنَقَضَهُ «أَبُو الْحَسَنِ^(٤) الْخِيَاطُ» .

(الزُّمَرُذُ) يَحْتَجُّ فِيهِ لِإِبْطَالِ الرِّسَالَةِ . نَقَضَهُ «الْخِيَاطُ» .

(نَعْتِ الْحِكْمَةِ) سَفَّهَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي تَكْلِيفِ خَلْقِهِ أَمْرَهُ . نَقَضَهُ

«الْخِيَاطُ» .

(الدَّامِغُ) يَطْعُنُ فِيهِ عَلَى نَظْمِ الْقُرْآنِ .

(الْقَضِيبُ) يُثَبِّتُ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ مُحَدَّثٌ ، وَأَنَّهُ كَانَ غَيْرَ عَالِمٍ حَتَّى خَلَقَ

لِنَفْسِهِ عِلْمًا ، نَقَضَهُ «الْخِيَاطُ» .

١ - كَذَا فِي النِّسْخِ ، لَكِنِهَا [السِّيْرَةُ] فِي (مَعَاهِدِ التَّنْصِيفِ ٧٦/١) - رَاجِعْ ص ٢٦ مِنْ مَقْدَمَةِ (كِتَابِ الْإِنْتِصَارِ - ط مِصر ١٩٢٥) . وَانظُرْ مَا نَقَلْنَاهُ فِي الْهَامِشِ رَقْمَ ٢ .

٢ - كَذَا فِي النِّسْخِ الثَّلَاثِ : وَلَعَلَّ [مَرْدًا] مَحْرُوقَةٌ عَنْ مَرِيدٍ ، أَوْ مَرُودٌ ، وَهُوَ الْمَارِدُ الَّذِي يَجْمَعُ وَيَذْهَبُ نَشَاطًا . وَابْنُ مَحْمَدَ بْنَ سَيِّدِ الْإِنْتِصَارِيِّ ، وَقَدْ رَوَاهُ صَاحِبُ الْأَمَالِيِّ هَكَذَا :

• وَهَلْ يَطَاقُ مِنْكَ عِنْدَ صَبْوَتِهِ •

وَانظُرْ (سَمَطُ اللَّكْوِيِّ : ١٠٥/١) : • وَالْمَذْكُورِيُّ الَّذِي بَلَغَ تَمَامَ السَّنِ .

وَجَاءَ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِ (الْإِنْتِصَارِ ، لِأَبِي الْحَسَنِ الْخِيَاطِ) نَقْلًا عَنْ (مَعَاهِدِ التَّنْصِيفِ : ٧٦/١) : «كَانَ ابْنُ الرَّائِدِيِّ هَذَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ أَحَدٌ مِنْهُ بِالْكَلامِ وَلَا أَعْرَفَ بِدَقِيقِهِ وَجَلِيلِهِ ، وَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ حَسَنَ السِّيْرَةِ حَمِيدَ الْمَذْهَبِ كَثِيرَ الْحَيَاءِ ، ثُمَّ انْسلَخَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ لِأَسْبَابٍ عَرَضَتْ لَهُ . وَكَانَ عِلْمُهُ أَكْثَرَ مِنْ عَقْلِهِ ، فَكَانَ مِثْلَهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ يُطِيقُ مَذْكُورِي عِنْدَ صَبْوَتِهِ وَمَنْ يَقُومُ لِمُسْتَوْرٍ إِذَا خَلَعَا « اهـ

وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ مَتَقَوْلًا بِنَصِّهِ هُنَا ، إِلَى رِسَالَةِ ابْنِ الْقَارِحِ !

٣ - لِمَعْرِفَةِ الْمَزِيدِ عَنْ مِصْنَفَاتِ ابْنِ الرَّائِدِيِّ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ الْقَارِحِ هُنَا ، رَاجِعْ (مَعَاهِدِ التَّنْصِيفِ) . وَفَهْرَسْتِ ابْنَ التَّدِيمِ ، وَمَقْدَمَةَ (كِتَابِ الْإِنْتِصَارِ لِلْخِيَاطِ) وَتَعْلِيقَ أَبِي الْعَمَاءِ عَلَى هَذِهِ الْكُتُبِ وَاحِدًا وَاحِدًا فِي رِسَالَةِ الْفَرَّانِ . ٤ - فِي ع : [أَبُو الْحَسَنِ] تَحْرِيفٌ .

الأعلام

• - أَبُو الْحَسَنِ الْخِيَاطُ : عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ ، مِنْ أَعْيَانِ الْمُعْتَزَلَةِ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقُرُونِ الثَّلَاثِ ، وَالْمُرْجِعُ أَنَّهُ تَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ ٣٠٠ بِقَلِيلٍ ، كَمَا أَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ «الدُّكْتُورُ نَيْبِرْج» نَاشِرُ كِتَابِ الْإِنْتِصَارِ ، الْمَطْبُوعِ بِدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ ١٩٢٥ . وَرَاجِعْ كَذَلِكَ (الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ) .

* * *

(١) «علی بنُ العباس بنِ جریج الرومی *» قال «أبو عثمان الناجم *» :
«دخلتُ عليه في عِلَّتِهِ التي ماتَ فيها ، وعِنْدَ رأسِهِ جامٌ (٢) فيه ماءٌ مَشْلُوجٌ
وخنجرٌ مُجَرَّدٌ لو ضُربَ به صَدْرٌ خَرَجَ من ظَهْرٍ (٣) ، فقلتُ : ما هذا ؟ قال :
الماءُ أبلٌ به حَلْتِي فقلما يموتُ إنسانٌ إلا وهو عطشانٌ . والخنجرُ ، إن زاد على
الألمِ نَحَرْتُ به نفسِي . ثم قال : أقصُ عليك قِصَّتِي تَسْتَدِلُّ بها على حَقِيقَةِ
تَلْفِي : أَرَدْتُ الانتقالَ من الكَرَّخِ إلى بابِ البَصْرَةِ ، فشاوَرْتُ صَدِيقَنَا
أبا الفضلِ وهو مُشْتَقٌّ من الإِفْضالِ ، فقال : إذا جِئْتَ القنطرةَ فَخُذْ على
يَمِينِكَ - وهو مُشْتَقٌّ من اليَمَنِ - واذهبْ إلى سِكِّةِ النعيمة - وهو مُشْتَقٌّ من
النعيمة - فاسكنْ دارَ ابنِ المُعافَى - وهو مشتق من العافية - فخالفته لِتَعَسَى
ونَحْسِي . فشاوَرْتُ صَدِيقَنَا جعفرًا - وهو مشتق من الجوع والفرار - فقال :
إذا جِئْتَ القنطرةَ فَخُذْ على شَمَالِكَ - وهو مشتق من الشؤم - واسكنْ دارَ
ابنِ قِلابَةَ . وهي هذه لا جَرَمَ ، قد انقلبتْ بي الدنيا ! وأضرُّ ما عَلَيَّ ،
العصافيرُ في هذه السُّدْرَةِ تصيحُ : سَيْقُ سَيْقُ : فهذا أنا في السياقِ ! ثم أَنشَدَ :
أبا عثمان ، أنت قريعُ قومك (٤) وجودك للعشيرةِ دونَ لَوْمِكِ

١ - كذا في النسخ الثلاث ، والكلام هنا لا يبدو قريب الصلة بالحديث قبله عن ابن الراوندي
وكبه ، إلا بتكلف وقلق . لذلك آثرنا فصله ليكون الكلام عنه مبتدأ .

٢ - الجام ، الكأس ، القدح - فارسية .

٣ - في [صدر] ويمنه السياق .

٤ - قريع قومك : سيدهم .

الأعلام

- * - علي بن العباس بن جريج الرومي : من أعلام الغفران .
- ** - أبو عثمان الناجم : سعد بن الحسن ، من أعلام الغفران .

تَمَتَّعَ مِنْ أَخِيكَ فَمَا أَرَاهُ بِرَاكَ وَلَا تَرَاهُ بَعْدَ يَوْمِكَ
وَأَلْحَ بِهِ الْبَوْلُ فَقُلْتُ لَهُ : الْبَوْلُ مُلِحٌ بِكَ . فَقَالَ :
غَدَا يَنْقَطِعُ الْبَوْلُ وَيَأْتِي الْوَيْلُ وَالْعَوْلُ^(١)
أَلَا إِنَّ لِقَاءَ اللَّهِ هُوَ دُونَ الْهَوْلِ

ومات من الغد .

فَأَرَجُو أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَوْلُ تَوْبَةً لَهُ مِمَّا كَانَ اعْتَقَدَهُ مِنْ ذَنْبِهِ نَفْسَهُ^(٢) ،
وَالرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ : « مَنْ وَجَّأ^(٣) نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ حُسْرَى يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَحَدِيدَتُهُ بِيَدِهِ يَجَأُ بِهَا نَفْسَهُ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِي النَّارِ ؛ مَنْ تَرَدَّى مِنْ
شَاهِقِ حُسْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَرَدَّى عَلَى مَنخَرِيهِ فِي النَّارِ خَالِدًا مُخَلَّدًا ، مَنْ
تَحَسَّى^(٤) سُمًّا حُسْرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسُمُّهُ بِيَدِهِ يَتَحَسَّاهُ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِي النَّارِ^(٥) .

قال « الحسن بن رجاء الكاتب » : « جاعني أبو تمام ** إلى خراسان ،
فبلغني أنه لا يُصَلِّي ، فَوَكَلْتُ بِهِ مَنْ لَازَمَهُ أَيَّامًا فَلَمْ يَرَهُ صَلَّى يَوْمًا وَاحِدًا ،
فَعَاتَبْتُهُ فَقَالَ : يَا مَوْلَايَ ، قَطَعْتُ إِلَى حَضْرَتِكَ مِنْ بَغْدَادِ ، فَاحْتَمَلْتُ الْمَشَقَّةَ
وَبُعَدْتُ الشُّقَّةَ وَلَمْ أَرَهُ يَثْقُلُ عَلَيَّ ، فَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الصَّلَاةَ تَنْفَعُنِي وَتَرْكُهَا
يَضُرُّنِي مَا تَرَكْتُهَا . فَأَرَدْتُ قَتْلَهُ فَخَشِيتُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيَّ غَيْرِ هَذَا » .

١ - كتب إلى جانب [العول] بهامش ج : أي العويل . وبتله بهامش ن .

٢ - يشير إلى قول ابن الرومي لأبي عثمان : « والخنجر ، إن زاد على الألم ، نحرته به نفسى » .

٣ - وجأ فلاناً بالسكين : ضربه في أى موضع كان . وانظر (النهاية في غريب الحديث : وجأ)

٤ - تحسى الشراب واحتسأه : شربه شيئاً بعد شيء .

٥ - في هامش (ج) حاشية نصها : (وقوع لفظ الخلود في هذه الأحاديث التهديد) والحاشية

بنصها في هامش ي ، ع .

الأعلام

• - الحسن بن رجاء : من أعلام الغفران .

•• - أبو تمام : حبيب بن أوس ، من أعلام الغفران .

وفي تاريخ^(١) كثيرة . أنه أحضر « المازيار »* إلى « المعتصم ** » وقبل
 قدمه بيومٍ سَخَطَ على « الأفشين *** » لأن القاضي « ابن أبي دُوَادٍ **** »
 قال للمعتصم : « أغرل^(٢) ويطأ امرأة عربية ؟ ! وهو كاتب المازيار . وزين
 له العصيان . »

فأحضر كاتبه^(٣) ، وتهده المعتصمُ فأقر أنه كتب إلى المازيار : « لم
 يكن في الأرض ولا في العصرِ بليَّةٌ إلا أنا وأنت وبابك^(٤) . ***** . وقد كنتُ
 حرباً على حَقْنِ دمه حتى كان من أمره ما كان . ولم يبق غيري وغيرك ،
 وقد توجه إليك عسكرٌ من عساكرِ القوم . فإن هزمتَه وثبتتُ أنا بملِكهم في
 قرارِ داره . فظهر الدينُ الأبيضُ . فأجابه « المازيارُ » بجوابٍ هو عنده في^(٥)
 سقط . أحمر .

فجمع بين الأفشين والمازيارِ . فاعترف المازيارُ بما حُكِيَ عنه .
 وقيلَ للمعتصم : إن وراء « المازيارِ » مالأ جليلاً . فأنشد :
 إن الأسودَ أسودَ الغابِ همتها يومَ الكربةِ . في المسلوبِ لا السلبِ

- ١- في ع : [تاريخ] ، وتاريخ جمع تاريخ .
- ٢- الأغرل : الذي لا يختن ، على عادة الأعاجم .
- ٣- أمى ، كاتب الأفشين . وإقراره هنا ، أنه كتب للأفشين إلى المازيار .
- ٤- الباء الثانية غير معجمة في (ج) ، وفوقها علامة فتحة ، وقد اشبه الأمر على ناسخ
 (ي) فكتبا : [وباتك] .
- ٥- سقط من ح .

الأعلام

- * - المازيار : بن قارن بن وندا هرمز ، من أعلام الففران .
- ** - المعتصم : الخليفة العباسي ، من أعلام الففران .
- *** - الأفشين : حيدر بن كاوس التركي ، من أعلام الففران .
- **** - ابن أبي دواد : أبو عبد الله أحمد الإيادي ، من أعلام الففران .
- ***** - بابك : بن بهرام الخرمي ، من أعلام الففران .

وذكروا^(١) أن اثنين قتلوا ثلاثة آلاف وخمسمائة ذبّاح بالثياب
 الحُمْرِ والخناجرِ الطوالِ ، وأنهم وجدوا أسماءهم في وقعة وقعة في بلد وبلد ،
 وكانوا يأخذون من كلِّ واحد علامةً : خاتمَه أو ثوبَه أو مِنديلَه أو تِكتَه^(٢) :
 * أتى الوادى فطمَّ على القرى*^(٣)

قد لقيتُ مَنْ يُجادلني أن علياً* رضى الله عنه ... وكذلك الحاكم**^(٤) ..
 وقد ظهر بالبصرة من يدعى أن^(٥) «جعفر» *** ابنُ محمد عليهما
 السلام ، وأنه متَّصلٌ به وروحه فيه ومُتَّصلةٌ به .

ولو استقصيتُ القولَ في هذا الفنِّ لطال جداً ولكن :

لا بدَّ للمصدور أن ينفشا وللذى في الصدر أن يُبعثا
 بل لو قلتُ كلَّ ما أعلمه ، أكلتُ زادى في محبسى ، بل كنتُ أنشدُ :
 أحملُ رأساً قد مللتُ حملَه ألا فتى يحملُ عنى ثِقَلَه
 وأستريحُ إلى أن أنشد :

ليس يشفى كلوم غيرى كلومى ما به به ، وما بي بي

١- في موضع الواو من لفظ [وذكروا] في نسخة (ج) ، غرم من أثر قرصة ، وقد نقل اللفظ
 في (ى ، ع) بغير واو .

٢- التكة : رباط السروال ، والجمع تكك ، كسكة وسكك .

٣- أتى السيل : جاء من حيث لا يدرى . وطم : علا وغلب . والقرى : مجرى السيل ، ورواية

الأساس : * جرى الوادى فطم على القرى *

٤- الكلام هنا ناقص مبتور ، ونرجح أن بقيته سقطت من النسخ .

٥- في ع : [من يدعى أنه جعفر بن محمد] تحريف يختل به المعنى والسياق .

الأعلام

* - عل : بن أبى طالب .

** - الحاكم : النص هنا لا يمين المقصود به ، ولعله الحاكم بأمر الله الفاطمى ، ت ٤١١ هـ .

راجع وفيات الأعيان ، وشذرات الذهب ٣/ ١٩٢ .

*** - جعفر : الصادق ، من أعلام الغفران .

إن شكوتُ العصرَ وأحكامه ، ودممتُ صروفه وأيامه ، شكوتُ مَنْ
لا يُشكِي^(١) أبداً ، ودممتُ مَنْ لا يُرضي أحداً ؛ شيمته اصطفاؤه اللثام ،
والتحاملُ على الكرام ؛ وهمته رفعُ الخاملِ الوضعِ ، ووضعُ الفاضلِ الرفيعِ إذا
سمَحَ بالحياة^(٢) فأبشِرَ بوشكِ الاقتِضاءِ ، وإذا أعارَ فأحسبه قد أغارَ ، فما
بين أن يُقبِلَ عليك مستبشراً ، ويُوَلِّيَ عنك متَجَهِّماً مستبسِراً^(٣) ، إلا
كلمحِ البصرِ واستطارةِ الشررِ . لم يخترقْ ذكرُ الوفاءِ مسامعَه ، ولم
يَمَسُّ ماءَ الحياةِ مدامعَه ، ظاهرُه يسرٌ ويؤنِسُ ، وباطنُه يسوءُ ويؤنِسُ ؛
يُخَيِّبُ ظنَّ راجيه ، ويكذِّبُ أملَ عافيه^(٤) ؛ لا يسمعُ الشكوى ويشمتُ
بالبلوى . قد دممتُ شيئاً^(٥) ووقعتُ فيه أنا ، كالغريقِ يطلبُ معلقاً ،
والأسيرِ يندبُ مطلقاً^(٦) . وأمتحسنُ قولَ «علي بنِ العباسِ بنِ جريجِ الروميِّ»^(٧) :

ألا ليس شيبك بالمنتزعُ فهل أنت عن غيةٍ مُرتدِعُ؟
وهل أنت تاركُ شكوى الزما نِ ، إذا شئتَ تشكو إلى مُستمِعِ؟
فشيبُ أخى الشيبِ أمنيَّةٌ إذا ما تناهى إليها هلعُ
كنتُ في حالِ الحداثةِ ، أقربُ الناسِ إلىَّ ، وأعزُّهم عليَّ ، وأقربُهم

١ - أشكاه يشكيه : أزال شكواه . وشكوتُ إليه فلانا فأشكاني منه ، أى أخذ لي منه ما أراضاني به .

٢ - في ع : [الحياة] تصحيف . والحياة : العطاء .

٣ - في ع : [مستبشراً] تصحيف . واستبسر بمعنى قطب وجهه ، ومنه يقال للأسد : البسور .

٤ - العاني : طالب المعروف . من عفا فلاناً يعفوه ، آتاه يطلب عفوه ويعرفه .

٥ - كذا في (ج ، ي) . وفي ع : [شيئاً] ، تصحيف . و « ابن القارح » يشير هنا إلى

ما عابه على المتنبي من ذم الزمان . انظر صفحة ٢٨ .

٦ - المعلق : مصدر ميمي من علق يعلق علوقاً بمعنى تعلق . والمطلق : مصدر ميمي من طلق

يطلق طلوقةً بمعنى انطلق وانحل من عقاله .

٧ - رواية الديوان (٣/٤٦١ ط كيلاني) للبيتين الثاني والثالث :

وهل أنت تاركُ شكوى الزما نِ إذ لست تشكو إلى مستمع

وشيخوخة المرء أمنيَّة إذا ما تناهى إليها هلع

• علي بن العباس بن جريج الرومي : من أعلام النفران .

عندى ، وأجلُّهم فى نفسى مرتبةً ، مَنْ قال لى : نساءً^(١) الله فى أجلك ، جعلَ اللهُ لكَ أمدَّ الأعمارِ وأطولها . فلما بلغتُ عشرَ الثمانينَ جاءَ الجزعُ والهلعُ . فمِمَّ أرتاعُ وألتاعُ ، وأخلدُ إلى الأطماعِ ، وهو الذى كنتُ أتمنىُّ ويتمنى لى أهلى ؟ أَمِنْ صُدوفِ الغواى عنى ؟ فأنَّا واللهِ عنهنَّ أَصدفُ ، وهنَّ وأدوائهنَّ أَعرفُ ، إذ لستُ ممَّنْ ينشدُ تحسراً عليهن :

للسودِ فى السودِ آثارٌ تركنَ بها لُمعاً من البيضِ تثنى أعينَ البيضِ^(٢)
وقولَ الآخر :

ولما رأيتُ النسرَ عَزَّ ابنَ دايةٍ وعششَ فى وكرهه ، جاشت له نفسى^(٣)
ولا أنشد لأبى عبادةَ البحرى* :

إن أيامه من البيضِ بيضُ ما رأينَ المفارقَ السودَ سوداً^(٤)
وإذا المخلُّ ثارَ ، ثاروا غيوثاً وإذا النقعُ ثار ، ثاروا أسوداً^(٥)
يحسن الذكرُ عنهم والأحاديثُ إذا حدثَ الحديدُ الحديداً^(٦)
بلدةٌ تنبتُ المعالى فما يثغِرُ رُ الطفلُ فيهمُ أو يسوداً^(٧)
وهذه صفةُ «معرفة النعمان»* به - أدام اللهُ تأييده - لا خلتَ منه

١- فى ع : [نسأل الله فى أجلك] تصحيف . والنسء : التأجيل والإطالة .

٢- السود الأولى ، هى العين السود ، والثانية : الشعر .

والبيض الأولى : الشيب ، والبيض الثانية : الغواى .

٣- ابن داية : الغراب .

٤- الأبيات من قصيدته التى مطلعها :

إنما الغى أن تكونَ رشيداً فانقصاً من ملامه ، أو فزيداً

٥- المحل : الجذب . والنقع : غبار المعارك .

٦- قوله : إذا حدثَ الحديدُ الحديداً ، يعنى به ضراب السيوف وقرع الرماح .

٧- يثغر : ينبت ثغره .

الأعلام

• - أبو عبادة ، البحرى : من أعلام الغفران .

• • - معرفة النعمان : بلدة أبى العلاء ، من أعلام النفران .

ومن النعمة عليه وعنده ، فقد وجدت أهلها معترفين بعوارفه^(١) ، خلا
«أبي العباس أحمد بن خلف الممتع*» - أدام الله عزه - فإني وجدت آثار
تفضله عليه ظاهرة ، ولسانه رطباً بشكره وذكره ، قد ملأ السماء دعاءً ،
والأرض ثناء .

قالت قريش للنبي عليه الصلاة والسلام : أتباعك من هؤلاء الموالى ،
كبلال وعمار وصهيب* ، خير من قصي*** بن كلاب ، وعبد مناف****
وهاشم***** وعبد شمس؟***** فقال : «نعم ، والله لئن كانوا قليلاً
ليكثرن ، ولئن كانوا وضعا ليشرفن حتى يصيروا نجوماً يهتدى بهم
ويقتدى ، فيقال : هذا قول فلان وذكر فلان . فلا تفاخروني بأبائكم الذين
موتوا في الجاهلية ، فلما يدهده الجعل^(٢) بمنخره خير من آبائكم الذين
موتوا فيها . فاتبعوني أجعلكم أنساباً ، والذي نفسى بيده ، لتقتسمن كنوز
كسرى وقيصر .»

١- العوارف ، جمع عارفة : وهي المعروف والعلوية .

٢- يدهده : يدرج . والجعل : ضرب من الخنافس ، جمعه جعلان .

الأعلام

- * - أبو العباس أحمد بن خلف المتع : من أعلام الغفران .
 - ** - بلال ، وعمار ، وصهيب : من الصحابة السابقين إلى الإسلام ، وكانوا موالى - انظرم
في طبقات الصحابة .
 - *** - قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . الجد الرابع للمصطفى عليه الصلاة والسلام . وهو
الذي أخرج خزاعة وبنى بكر من مكة ، وتولى مناصب الشرف فيها ثم تركها ميراثاً لابنيه
من بعده . السيرة ١/ ١١٠ .
 - **** - عبد مناف : بن قصي ، الجد الثالث للرکول عليه الصلاة والسلام ، وأبو هاشم
وعبد شمس . السيرة ١/ ١١١ .
 - ***** - هاشم : بن عبد مناف ، أبو عبد المطلب ، وجد عبد الله . أمه عاتكة بنت مرة بن
هلال : إحدى المواتك التي اعتر الرسول بنبوته لمن فقال : أنا ابن المواتك من سليم .
السيرة ١/ ١١٢ .
 - ***** - عبد شمس : بن عبد مناف بن قصي ، جد أبي سفيان ، وعثمان بن عفان بن أبي العاص
ابن أمية بن عبد شمس . السيرة ١/ ١١١ .
- وانظر في قصي ، وعبد مناف ، وهاشم ، وعبد شمس : كتاب (نسب قريش للمصعب الزبيري)

فقال له عمه « أبو طالب » * : « أبق على وعلى نفسك » (١) . فظن عليه الصلاة والسلام أنه خاذله ومُسلمه ، فقال : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » . ثم استعبر باكياً ، ثم قام . فلما ولي ناداه : « أقبل يا ابن أخي » . فأقبل . فقال : « اذهب وقل ما شئت ، فوالله لا أسلمتكم لسوء أبدأ » . فكان عليه الصلاة والسلام يذكر يوماً ما لقي من قومه من الجهد والشدة ، قال :

« لقد مكثت أياماً وصاحبي هذا - يشير إلى أبي بكر - بضع عشرة ليلة ما لنا طعامٌ إلا البربر (٢) في شُعب الجبال » .

وكان « عتبة بنُ غزوان ** » يقول إذا ذكر البلاء والشدة التي كانوا عليها بمكة : « لقد مكثنا زماناً ما لنا طعامٌ إلا ورق البشام (٣) أكلناه حتى تفرّحت أشداقنا ، ولقد وجدت يوماً تمرة فجعلتها بيني وبين « سعد *** » وما مِنَّا اليومَ أحدٌ إلا وهو أميرٌ على كُورة » . وكانوا يقولون فيمن وجد تمرة

-
- ١ - حديث أبي طالب مع النبي صلى الله عليه وسلم ، مبسوط في السيرة لابن هشام : ٢٨٤/١ ط الحلبي
 - ٢ - البربر : ثمر الأراك . وقيل هو أول ما يظهر من ثمره . وأحدته بريرة .
 - ٣ - البشام : شجر طيب الريح يستاك به ، وورقه صغار ، ولا ثمر له .
- واقراً في السيرة (١٦/٢) مزيداً مما لقي المسلمون الأولون من شدة وبلاء .

الأعلام

- * - أبو طالب : بن عبد المطلب بن هاشم . عم المصطفى وكافله بعد موت جده . وأبو الإمام على ، وجعفر الطيار ، وأخوال العباس وحزمة وأبي لُهب . السيرة ١١١/١ ونسب قریش : ٣٩ ذخائر .
 - ** - عتبة بن غزوان : بن جابر بن وهب السلمى : من مهاجرة الحبشة . راجع الإصابة ، والسيرة ١١١/١ ، ٣٠٢ ، ٣٤٧ .
 - *** - سعد : بن أبي وقاص بن أهيب الزهرى . من السابقين الأولين ، وأحد العشرة . السيرة ١/٢٦٨ . ونسب قریش : ٢٦٤ ذخائر .
- واقراً حديث سعد عما لقي من جهد الحصار ، في الجزء الثاني من السيرة (ص ١٦) والروض الأنف للسبيل . الجزء الأول .

فقسّمها بينه وبين صاحبه : إن أسعدَ الرجلين من حصّلتِ النواةُ في قِسمه ، يلوّكها يومه وليلته ، من عَدَمِ القوتِ .

وكذا قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « لقد رَعَيْتُ غُنِيَاتِ أَهْلِ مَكَّةَ لَهُمْ بِالْقَرَارِيطِ » .

وابتداءُ أمره أنه وقف على الصِّفا ونادى : يا صباحاه ، يا صباحاه! (١)؛

فجاءوا يهرعون فقالوا : ما دَهَمَكَ ؟ ما طَرَقَكَ ؟

قال : بيم تعرفونني ؟ قالوا : محمد الأمين .

قال : « أَرَأَيْتُمْ إِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنْ خَيْلًا قَدْ طَرَقَتْكُمْ فِي الْوَادِي ، وَإِنْ

عَسْكَرًا قَدْ غَشِيَكُمْ مِنَ الْفَجِّ ، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي ؟ » (٢) قالوا : اللهم نعم ، ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَطْ .

قال : « فَإِنَّ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، لَيْسَ لِلَّهِ وَلَا مِنَ اللَّهِ وَلَا يَرْضَاهُ اللَّهُ ، قُولُوا :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاشْهَدُوا أَنِّي رَسُولُهُ ، وَاتَّبِعُونِي تُطِيعَكُمُ الْعَرَبُ [وَتَمْلِكُوا] (٣)

العجم ، وَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي : اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجْتُكَ ، وَابْعَثْ جَيْشًا أَبْعَثْ

بِحَمْسَةِ أَمْثَالِهِ ؛ وَضَمَنْ لِي أَنَّهُ يَنْصُرُنِي بِقَوْمٍ مِنْكُمْ ، وَقَالَ لِي : قَاتِلْ بِمَنْ

أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ . وَضَمَنْ لِي أَنَّهُ يَغْلِبُ سُلْطَانِي سُلْطَانَ كَسْرَى وَقِيسَرَ » .

ثم إنه عليه الصلاة والسلامُ غزا « تَبُوكَ* » في ثلاثين ألفاً (٤) ، وهذا من

١ - سقطت من (ع) .

٢ - نون القاية تدغم فيها نون الرفع أو تفك ، وقد تحذف إحداهما تخفيفاً - راجع (شرح ابن عقيل وحاشية الخضري ١/٦٠ ط ١٣٢٧) .

٣ - في النسخ الثلاث : [وَتَمْلِكُونِ] .

٤ - أمامها بخط رفيع بين الأسطر في ج (فيه نظر) بمداد أحمر . وقد سقطت من ي ، ع . راجع غزوة « تبوك » في الطبري (حوادث سنة ٩) وفي السيرة (٤/١٥٩) . والطبقات الكبرى لابن سعد (١١٩/٢) ط برييل .

الأعلام

• - تبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وكانت لبلاد الروم ، غزاها الرسول صل الله عليه وسلم ستة تسع فكانت آخر غزواته . (بلدان ياقوت) .

قَبِلَ اللهُ الَّذِي يَجْعَلُ مِنْ لَا شَيْءٍ كُلَّ شَيْءٍ ، وَيَجْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ لَا شَيْءَ ،
يُجَمِّدُ الْمَائِعَاتِ وَيُمِيعُ الْجَامِدَاتِ ، يُجَمِّدُ الْبَحْرَ ثُمَّ يَفْجُرُ الصَّخْرَ .
وما مثله في ذلك إلا كمثل من قال : هذه الزجاجَةُ الرقيقةُ السخيفةُ ،
أحكُّ بها هذه الجبالَ الصلدةَ الصلبةَ المنيفةَ ، فترضها وتفضها ؛ وهذه النملة
الضعيفةُ اللطيفةُ ، تهزمُ العساكِرَ الكثيرةَ المعدَّةَ !

وكذا حقيقة أمره عليه الصلاة والسلام ، حتى لقد قال «عروة بن
مسعود الثَّقَفِيُّ*» لقريش ، وكان رسولهم إليه صلى الله عليه وسلم بالحديبية* :
«لقد وردتُ على النجاشي وكسرى وقيصر ورأيتُ جُنْدَهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ ، فَمَا
رَأَيْتُ أَطْوَعَ وَلَا أَوْقَرَ وَلَا أَهْيَبَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ لِمَحْمَدِهِمْ ، هُمْ حَوْلَهُ
وَكَانَ الطَّيْرَ عَلَى رُغُوسِهِمْ ، فَإِنْ أَشَارَ بِأَمْرٍ بَادَرُوا إِلَيْهِ ، وَإِنْ تَوَضَّأَ اقْتَسَمُوا
وَضُوءَهُ ، وَإِنْ تَنَحَّخَمَ دَلَكُوا بِالنَّخَامَةِ وَجُوهَهُمْ وَلِحَاهِمَ وَجِلْدَهُمْ » .
وكانوا له بعد موته أطوعَ منهم في حياته ، حتى لقد قال بعضُ أصحابه :
«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُمْ أَسْلَمُوا مِنْ خَوْفِ اللهِ ، وَأَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ
خَوْفِ أَسْيَافِهِمْ » .

فتأملْ ، كيف استفتحَ دعوته - وهو ضعيفٌ وحده - بأن هذا سيكونُ ،
فراه العلوُّ والوليُّ . وما كان مثله في ذلك إلا مثلَ مَنْ قال : «هذه الهبَاءَةُ
تعظمُ وتصيرُ جبلاً يُغَطِّي الأَرْضَ كُلَّهَا» ثم أنذر الناسَ بها في حالِ ضعفِها !

الأعلام

- - عروة بن مسعود الثقفي : الصحابي الجليل ، ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث الإسراء .
وأمه سفيمة بنت عبد شمس . راجع قصة ذهابه عن قريش إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ورجوعه إليها بهذا
الحديث ، في السيرة (٢ / ٣٢٧) وتاريخ الطبري ، حوادث السنة السادسة للهجرة .
- - الحديبية : قرية من قرى الحجاز ، بينها وبين مكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة سبع
مراحل . عقد فيها الصلح المشهور سنة ست من الهجرة ، بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش .
يقوت ٢٣٣/٣ - السيرة ٢٣٤/٣ - تاريخ الطبري (سنة ٦ هـ) . طبقات ابن سعد ٦٩/٢ ط بريل .

وجاء صلى الله عليه وسلم يوماً ليدخل الكعبة ، فدفعه «عثمان بن طلحة العبدري» . فقال :

« لا تفعل يا عثمان ، فكأنك بمفتاحها بيدي أضعه حيث شئت »
فقال :

« لقد ذلت يومئذ قريش وقلت » . قال : « بل كثرت وعزت » .

وأنا أستعين بعضمة الله وتوقيه ، وأجعلهما ميعني^(١) على دفع شهواتي ،
وأشكو إليه عكوفي على الأمانى ، وأسأله فهماً لمواعظ عير الدنيا ، فقد عميت
عن كلوم غيرها ، بما جثم^(٢) على خواطرى من الشعف [بها] ^(٣) . ولست أجد
منصفاً لى منها ، ولا حاجزاً لرغبتى فيها عنها ؛ وأين ودائع العقول وخزائن
الأفهام يا أولى^(٤) الأبصار ؟ صفحنا عن مساوى الدنيا إغماضاً لعاجل مؤنتي^(٥)

١ - فى السيرة (٥٤ / ٤) أن الرسول ، يوم الفتح . جاء البيت فطاف به سبماً ، ثم دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ودخلها ، ثم جلس فى المسجد فقام إليه « على » ومفتاح الكعبة فى يده عليه الصلاة والسلام فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية ، صلى الله عليك . فقال الرسول : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له ، فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء .

٢ - فى ع : [ميعنى] .

٣ - فى ع : [جثم] تصحيف .

٤ - زيادة احتاج إليها السياق . والشعف : غلبة الحب . يقال شغفه الحب يشغفه إذا غشى قلبه وغلبه .

٥ - رسمها فى ج : [ياولى] ونسختها فى ي : [ياولى] .

٦ - فى ع : [مؤنتى] تحريف .

الأعلام

* - عثمان بن طلحة العبدري : من بنى عبد الدار بن قصي بن كلاب ، وكانت الحجابة فيهم ميراثاً عن جدكم قصي . أسلم عثمان فى هدنة الحديبية ، وهاجر إلى المدينة مع خالد بن الوليد قبل الفتح ، وقتل شهيداً بأجنادين فى أول خلافة عمر رضى الله عنه .
السيرة ١٣ / ١٢ - ٥٤ / ٤ وانظر الإصابة والاستيعاب .

التنغيص ، وتُومِي^(١) إليه يدُ الزوالِ ، وتكْمُنُ له الآفاتُ . قال «كثيرٌ»^(٢) :
 كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضْتُ مِنْ الصَّمِّ لَوْ عَمَشِي بِهَا الْعُضْمُ زَلَّتِ
 وَأَقُولُ عَلَى مَذْهَبِ «كَثِيرٍ» : يَا دُنْيَا ، فِي كُلِّ لِحْظَةٍ لِطَرْفِي مِنْكَ
 عَبْرَةٌ ، وَفِي كُلِّ فِكْرَةٍ لِي مِنْكَ حَسْرَةٌ ! يَا مُرْتَقَّةَ الصِّفَا وَيَا نَاقِضَةَ عَهْدِ الْوَفَا ؛
 مَا وَفَّقَ لِحْظَةَ مَنْ عَرَجَ نَحْوِكَ ، وَلَا سَعِدَ مَنْ آثَرَ الْمَقَامَ عَلَى حَسَنِ الظَّنِّ
 بِكَ ، هَيْهَاتَ يَا مَعْشَرَ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، لَكُمْ فِي الظَّاهِرِ اسْمُ الْغِنَى ، وَفِي الْبَاطِنِ
 أَهْلُ التَّقَلُّبِ لَهُمْ نَفْسٌ هَذَا الْمَعْنَى . كَمْ مِنْ يَوْمٍ لِي أَغْرَأَ كَثِيرِ الْأَهْلَةِ ، قَدْ
 صَحَّتْ^(٣) سَمَاوُهُ وَامْتَدَّتْ عَلَى ظِلِّهِ ، تَمَلَّنِي سَاعَاتُهُ بِالْمَنَى ، وَيَضْحَكُ لِي^(٤) عَنِ
 كُلِّ مَا أَهْوَى ، حَتَّى إِذَا اتَّصَلَ بِكُلِّ أَسْبَابِي نَفِسْتُ عَلَى بِهِ الدُّنْيَا^(٥) فَسَعَبْتُ
 بِالنَّشْتِيتِ إِلَى أَلْفَتِهِ ، وَالنَّقْصِ إِلَى مُدَّتِهِ ، فَكَسَفْتُ بِهِجَتِهِ كَسُوفًا ، وَأَرَهَقْتُ
 [نَضْرَتَهُ وَحَشِيَّةُ]^(٦) الْفِرَاقِ ، وَقَطَّعْتَنَا فِرْقًا فِي الْآفَاقِ ، بَعْدَ أَنْ كُنَّا كَالْأَعْضَاءِ
 الْمُؤْتَلِفَةِ ، وَالْأَغْصَانِ اللَّدْنَةِ الْمُنْعِطَةِ :

وَاحْمَرَّتْ فِي يَوْمٍ يَجْمَعُ شِرَّتِي كَهْنُ وَلَحْدُ^(٧)

ضِيَعْتُ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ بِالَّذِي لِي مِنْهُ بُدٌّ

وَأُنشِدُ قَوْلَ «ابْنِ الرَّوْمِيِّ» ** :

أَلَا لَيْسَ شَيْئَكَ بِالْمُنْتَزِعِ فَهَلْ أَنْتَ عَنِ غِيَةِ مَرْتَدِعِ^(٨)

١- في ع : [وُزِي] . وفي ج ، ي : [وَتَوَى] بتخفيف الهززة .

٢- انظر القصيدة في خزانة الأدب للبغدادى (٢/٣٧٩ بولاق) . وراجع (سمط اللال ٢/٧٣٥)

٣- في ي ، ع : [أَحْصَتْ سَمَاوُهُ] .

٤- في ع : [وَيَضْحَكُ لِي بِهَا] .

٥- نفست على به الدنيا : حسدتهى عليه ولم ترفى أهلا له .

٦- في ج ، ي : [نَضْرَةٌ وَحَشِيَّةٌ] وفي ع : [نَضْرَتُهُ وَحَشِيَّتُهُ] .

٧- في ي : [يَا حَمْرَتِي] وجاء البيت [في ع] نثرًا . والشرة : الحدة ، والنشاط ، والعليش .

٨- انظر ما بعد هذا البيت في صفحة ٤٤ - والديوان : ٤٦١/٣ .

الأعلام

• - كثير : عزة ، ابن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعى - من أعلام الغفران .

•• - ابن الرومى : على بن العباس - من أعلام الغفران .

فَأَقَلَّتْ وَأَبْكَى بَكَاءَ غَيْرِ نَافِعٍ وَلَا نَاجِعٍ ، وَيَجِبُ أَنْ أَبْكَى عَلَى بَكَائِي
وَأَنْشَدَ :

لساني يقولُ ولا أفعُلُ وقلبي يريدُ ولا أعملُ
وأعرفُ رشدِي ولا أهتدي وأعلمُ لكنني أجهلُ

عرض على بعض الناس كأس خمر ، فامتنعتُ منها وقلتُ : خلطوني
والمطبوخُ على مذهبِ « الشيخ الأوزاعي » . وقلتُ لهم : عرض « إبراهيم
ابن المهدي » على محمد بن [حازم] ^(١) *** الخمرَ فامتنع وأنشدَ :

أبعدَ شِيبِي أصبُو والشيبُ للجهلِ حَرْبُ
سِنٌّ ، وشيبٌ ، وجهلٌ أمرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ
يا ابنَ الإمامِ ^(٢) فالأَيامُ عودِي رطبُ
وإذ شِيبِي قليلٌ ومنهلُ الحبِ عذبُ
وإذ شفاءُ القواني مِنِّي حديثٌ وقربُ
فالآنَ لما رأى بي الـ مُذَالُ ما قد أَحْبوا
وآنَسَ الرشدُ مِنِّي قومٌ ، أعابُ وأصبو؟
آليتُ أشربُ خمرًا ما حَجَّ اللهُ ركبُ

١- في النسخ الثلاث : [حازم] [بخاء معجمة ، تصحيف .

٢- في ع : [يا ابن إمام] تصحيف .

الأعلام

• - الشيخ الأوزاعي : أبو عمرو والإمام ، عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي فقيه الشام في القرن الثاني
المجري وإمام الشام ، وكان زاهداً متعبداً ، مجتهداً . حديثه في الكتب الستة ، مات سنة ١٥٧ هـ -
(تذكرة الحفاظ ١/١٧٨ ، طبقات ابن سعد ٧-٢/١٨٥ ، تهذيب التهذيب ٦/٢٣٨)

•• - إبراهيم بن المهدي : العباسي - من أعلام الغفران .

••• - محمد بن حازم : بن عمرو الباهل - من أعلام الغفران .

وأقبلتُ على نفسي مخاطباً ، ولها معاتباً ، والخطابُ لغيرها والمعنى لها :
لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم ! أما تستحيون من طول ما لا تستحيون !
فكن كالوليدِ تُقلِّبه يدُ اللطيفِ به على فراشِ العطفِ عليه ، تُصرفُ إليه المنافعُ
بغيرِ طلبٍ منه لِصغره ، وتُصرفُ عنه المضارُّ بغيرِ حذرٍ منه لعجزه . أما
سمعتَ الرسولَ عليه الصلاةُ والسلامُ إذ يقولُ في دُعائه : « اللهم اكلاثنى
كلاءةَ الوليدِ الذى لا يدري ما يُرادُ به ولا ما يريدُ » . ألا مُتعلِّقٌ بالإذلالِ
أذياناً دليله؟ ألا مُعدُّ مطيةً ورحلاً ليومِ رحيله؟ يا هلاه! الدلجةُ الدلجة ! إنه
من لم يسبقُ إلى الماءِ يظمُ . إنما منعك ما تشتهي ضناً بك وغيره عليك ، قال
الرسولُ عليه الصلاةُ والسلامُ : « إذا أحبَّ اللهُ عبداً حمَّاه الدنيا » وأنتَ
تشكونى إذا حميتك ، وتكرهُ صيانتى إذا صُننتك . ألا لائدُ بفيناثنا ليغزُ ؟
ألا فارُّ إلينا لا فارَّ منا ؟ يا من له بُدٌّ من كلِّ شيءٍ ، ارحمُ من لا بُدَّ له
منك على كلِّ حال ! الله يُغنى بشيءٍ عن شيءٍ ، وليس يُغنى عنه بشيءٍ ،
فلهذا قال جبريلُ للخليل : ألك حاجةٌ ؟ قال : أما إليك فلا ، الله يستحقُّ
أن يُسألَ وإن أغنى ، لأنَّه لا يُغنى بشيءٍ عنه . أطمعه لتطيعه ولا تُطمعه
ليطيعك فتفتنرَ وتملَّ . من ترك تدبيره لتدبيرنا أرخناه ! جلَّ من لوالبُ (١)

القلوبِ والهممِ بيده ، وعزائمُ الأحكامِ والأقسامِ عنده :

أنسيتَ ذكرَ أحيَّةٍ ينسونَ ذنبك عندَ ذكرك ؟
وجفوتهم ، ولطالما كانوا - خلافاً - طوعَ أمرُك
وصبرتَ عندَ فراقهم ما كان عنركَ عندَ صبرك ؟
تركُ من إذا جفوتَه ونسيتَ ذكرَه وتعلَّيتَ حدَّه وتركتَ نهيه وضيعتَ

١ - لوالب : جمع لولب ، الآلة المروقة .

ولعل القارئ يلاحظ على هذه الفقرة كلها ، ما فيها من كثرة الالتفات الذى لا يؤمن منه الخلطُ
واللبس ، إلا بالحدز والتنبه .

أمره ، وثبتت إليه وعولت في تفضله عليك عليه ، وقلت : يا رب ، قال لك :
 لبنيك « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب »^(١) إن كان الذباب بوجهك
 فأتهمك ، وإن قطعت أنا أعضائك فلا تتهمني ، أنت الذي إذا أعطيتك
 ما أملت تركتني وانصرفت : « وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى
 بجانبه »^(٢) . يا واقفاً بالثهم كم كم ؟ أليس يقول لك : ما غررك بي ؟ تقول :
 [حلمك]^(٣) ، وإلا لو أرسلت على بقعة لجمعتنى عليك إذا أردت أن تجمعني :

أمن بعد شربك كأس النهي وشمك ريحان أهل التقى
 عشقت فأصبحت في العاشق بين أشهر من فرس أبلقاً ؟
 أدنيائ ، من غمر بحر الهوى خذي بيدي قبل أن أغرقا
 أنا لك عبد ، فكوني كمن إذا سره عبده أعتقا
 كان ببغداد رجل كبير الرأس فيل الأذنين اسمه « فاذوه » رأسه في
 الأزمنة^(٤) الأربعة مكشوف ، لا يتورع عن ركوب مخزية ، يقال له :
 يا فاذوه ، وبئلك ! تب إلى الله . فيقول : يا قوم ، لم تدخلون بيني وبين
 مولاى وهو الذى يقبل التوبة من عباده ؟

فكان في بعض الشوارع يوماً ذاهباً ، والشارع قد اتسع أسفله وضاق
 أعلاه والتقى^(٥) جناحان فيه ، فناولت جارة جارتها مهراً^(٦) ، انسل من

١ - عن آية ١٨٦ سورة البقرة .

٢ - من آية ٨٣ سورة الإسراء .

٣ - في ج ، ح ، ي : [حكك] .

٤ - أحسبه يعنى بالأزمنة الأربعة ، الفصول الأربعة .

٥ - في ع [والتقت] .

٦ - المهراس : الماوين : ولا تزال مستعملة في المغرب .

الأعلام

• - فاذوه : مجهول من أعلام الغفران .

يُدها على رأس « فاذوه » فهرس رأسه . وَخَطَطَ كحَطَطِ الهريسة . وأَعْجَلَه
عن التوبة . وكان لنا واعظٌ صالحٌ يقول لنا : احلروا ميتةً فاذوه .

قال « جبريلُ » في حديثه : « خَشِيتُ أَنْ يَمَّ فَرَعُونَ^(١) الشَّهَادَةَ وَالتَّوْبَةَ ،
فَأَخَذْتُ قِطْعَةً مِنْ حَالِ^(٢) الْبَحْرِ فَضْرِبْتُ بِهَا وَجْهَهُ » - يعنى طينه . والحالُ
ينقسم ثمانية أقسامٍ منها الطينُ - فكيف يصنعُ منْ عِنْدَهُ أَنْ التَّوْبَةَ
لَا تَصِحُّ مِنْ ذَنْبٍ مَعَ الْإِقَامَةِ عَلَى آخَرَ ؟ فَلَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ .

بَلَّغْنِي عَنْ مَوْلَايَ الشَّيْخِ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ - أَنَّهُ قَالَ وَقَدْ ذُكِرْتُ لَهُ :
« أَعْرِفُهُ خَيْرًا^(٣) . هُوَ الَّذِي هَجَا أَبَا الْقَاسِمِ * [بْنِ] ^(٤) عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ
الْمَغْرِبِيِّ » .

فذلك منه - أدام الله عزه - رائعٌ لى . خوفاً أَنْ يَسْتَشِيرَ طَبْعِي ، وَأَنْ
يَتَصَوَّرَنِي بِصُورَةٍ مَنْ يَضَعُ الْكُفْرَ مَوْضِعَ الشُّكْرِ . وَهُوَ بِتَعْرِيفِ التَّنْكِيرِ .

١ - يعنى فرعون موسى .

٢ - أورد (السان) أكثر من ثمانية معانٍ لفظ الحال ، منها الشيء يحمله الرجل على ظهره
ما كان ، والكاراة والهينة ، والوقت الذى أنت فيه ، والتراب الذى الأسود ، والحماة - وبها فر
حديث جبريل الذى نقله ابن القارح هنا - والبن ، والرماد الحار ، وحال الرجل : امرأته ،
والدراجة التى يدرج عليها الصبي إذا مشى .

٣ - كذا (فج ، ي) ، والمعنى : أعرفه سماعاً . وقد نقله في (ع) محرفاً : [أعرفه جزأ] .

٤ - في النسخ الثلاث : [أن القاسم على بن الحسين] .

والصحيح بالرجوع إلى وفيات الأعيان ، وزبدة الحلب في تاريخ حلب ١ / ١٨٨ ومجمع بلقوت
(٦ / ٤) والشلوات (٧ / ٩٠) . وانظر تعريف القماء بأبي العلاء (٥٩١) .

الأعلام

• - أبو القاسم : الحسين بن على بن الحسين ، المعروف بالوزير المغربى ، كاتب شاعر ،
وسياسى مفارم ، ولد سنة ٣٧٠ وتوفى سنة ٤١٨ . وكان يلقب بالكامل فى الوزارتين . واجع
مصادر ترجمته فى الماشى رقم ٤ [أعلاه] -

أنفع لي عنده ، لجلالة قدره ودينه ونسبه ، وأنا أطلعه طلعه^(١) ، ليعرف
خفصه ورفعته ، وفرداده وجمعه .

كنت أدرس على « أبي عبد الله بن خالويه * » رحمه الله ، وأختلف
إلى [أبي^(٢) الحسن المغربي] ** ، ولما مات « ابن خالويه » سافرت إلى بغداد
ونزلت على « أبي علي الفارسي *** » ، وكنت أختلف إلى علماء بغداد : إلى
« أبي سعيد *** السيرافي ، وعلي بن عيسى الرماني *** » ، وأبي عبيد الله
المرزباني ، وأبي حفص الكتاني ***** صاحب أبي بكر ***** بن
مجاهد . وكتبت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغت نفسي

-
- ١ - أطلعه طلعه : أطلعه على باطن أمره . ويقال : اطلع طلع العدو أي عرف باطن أمرهم
وفي (نوادير أبي مسحل) ويقال : ليس لهذا الكلام طلع ولا مطلع ولا مطلع - بضم الميم وتشديد
اللام - غير ما قلت لك (٢٩/١) . - ط دمشق .
٢ - في النسخ الثلاث : [أبي الحسين] راجع الأعلام .

الأعلام

- - أبو عبد الله بن خالويه : من أعلام النفران .
- - أبو الحسن المغربي : علي بن الحسين - والد أبي القاسم - انظر رقم ٤ هامش الصفحة السابقة ،
وانظر أعلام النفران .
- - أبو علي الفارسي : الحسن بن أحمد - من أعلام النفران .
- - أبو سعيد السيرافي : الحسين بن عبد الله . من أعلام النفران .
- - علي بن عيسى الرماني : أبو الحسن ، من كبار النحاة في القرن الرابع ، وكان متفتناً في اللغة
والفقه والكلام على مذهب المعتزلة . تذكر له المصادر نحو مائة كتاب في علوم العربية والقرآن .
ولد سنة ٢٩٦ وتوفي سنة ٣٨٤ هـ .
- (نزعة الألبا لابن الأنباري : ٣٨٩) ، وفيقات الأعيان (٣٣١/١) وانظر ثلاث رسائل في إعجاز
القرآن : للخضابي والرماني وعبد القاهر الجرجاني ، ط الذخائر .
- - أبو عبيد الله المرزباني : من أعلام النفران .
- - أبو حفص الكتاني : عمر بن إبراهيم البغدادي ، إمام القراء في القرن الرابع الهجري ،
توفي سنة ٣٩٠ هـ (انظر صفحة ٥٣١) .
- - أبو بكر بن مجاهد : أحمد بن موسى بن العباس ، شيخ القراء في بغداد ، توفي
سنة ٣٢٤ هـ (طبقات القراء لابن الحزري ١/١٢٩) .

أغراضها جهدى والجهدُ عاذر . ثم سافرتُ منها إلى مصرَ ، ولقيتُ
« أبا الحسن^(١) [المغربى] فألزمنى أن لزمته لزومَ الظلِّ ، وكنتُ منه مكانَ المِثلِ ،
في كثرةِ الإنصافِ ، والحنوِ والتحفِّ^(٢) . فقال لى سيراً : «أنا أخافُ هِمَّةَ
أبي القاسمِ أن تنزَّو^(٣) به إلى أن يوردنا وِرْدًا لا صَدَرَ عنه . وإن كانت
الأنفاسُ مما تُحفظُ وتُكسَبُ ، فاكتبها واحفظها وطالِعى بها .»

فقال^(٤) لى يوماً : « ما نرضى بالخمولى الذى نحنُ فيه » قلتُ : « وأى
خمولى هنا ؟ ! تأخذون من مولانا - خَلَدَ اللهُ مُلْكَه - فى كُلِّ سَنَةٍ سِتَّةَ آلَافِ
دينار ، وأبولك من شيوخِ الدولة وهو معظَّمٌ مُكْرَمٌ . فقال : « أريدُ أن تُصارَ
إلى أبوابنا الكتابُ والمواكبُ والمقانبُ^(٥) ، ولا أرضى بأن يُجرى علينا
كالولدانِ والنِسوانِ ! »

فأعدتُ ذلك على أبيه فقال : « ما أخوفنى أن يخضبَ أبو القاسمِ^(٦)
هذه من هذه ! » - وقبض على لِحِيَّتِهِ وهامتِهِ .

وعِلِمَ « أبو القاسمِ » . بذلك^(٧) ، فصارت بينى وبينه وَقْفَةٌ .

١ - فى ج ، ح ، د : [أبا الحسن المرعى] تحريف ، والسياق يبين أنه أبو الحسن المغربى والد أبو القاسم .
انظر أعلام الصفحة السابقة .

٢ - فى ع : [التجاف] تصحيف . التحاف : التواد ، وقد أتحفه الشيء وأتحفه به أهداه إليه .
والتحفة : الهدية .

٣ - تنزرو به إلى كذا : تطلع وتنازع إليه . ويقال : هو يتنزى إلى الشر ، أى يتسرع إليه .

٤ - القائل هنا ، هو أبو القاسم ، والراوى هو ابن القارح .

٥ - المقانب : جمع مقنب وهو جماعة من الخويل تجتمع للقارة .

٦ - فى د : [أبا القاسم] خطأ .

٧ - يعنى بما نقل ابن القارح إلى أبي الحسن المغربى من حديث ولده أبو القاسم .

وأنفذ إلى القائم « أبو عبد الله ، الحسين بن جوهر * » فشرّفني بشريف
خدمته ، فرأيت « الحاكِم * » كلما قتل رئيساً أنفذ رأسه إليه وقال : « هذا
عنوي وعدوك يا حسين » فقلت : « من ير يوماً ير به ، والدهر لا يفتّر
به » وعلمت أنه كذا يفعلُ به . فاستأذنته في الحج فأذن ، فخرجتُ في
سنة سبعٍ وتسعين ، وحججتُ خمسةَ أعوامٍ وعدتُ إلى « مصر » وقد قتله ^(١) ،
فجاءني أولاده سراً يرومون الرجوع إليهم ، فقلتُ لهم : خيرٌ مالي ولكم
الهربُ ، ولأبيكم ببغداد * * * * * ودائعُ . خمسمائة ألف دينار . فاهربوا وأهربُ .
ففعّلوا وفعلتُ . وبلغني قتلهم بدمشق * * * * * وأنا بطرابلس * * * * * ، فدخلتُ
إلى أنطاكية * * * * * وخرجتُ منها إلى ملطية * * * * * وبها « المايستريّة » ؛ خولة بنتُ
سعدِ الدولة * * * * * « فأقمتُ عندها إلى أن ورَدَ عليّ كتابُ « أبي القاسمِ »
فيسرتُ إلى ميافارقين * * * * * . فكان يُسمرُ حسواً في ارتغاء ^(٢) .

١ - القاتل هو الحاكم بأمر الله ، والمقتول القائد الحسين بن جوهر .

٢ - يسر : ضد يعلن - والحسو : الشرب شيئاً بعد شيء ، يقال حسا الطائر الماء تناوله بمنقاره ،
والارتغاء : أخذ الرغوة ، يقال ارتغى اللبن ارتغاء أخذ ما عليه من الرغوة . والمرغى من الكلام : المهيم .
والمثل يضرب فيمن يتظاهر بأمر ويخفي سواد ، كمن يتظاهر بالارتغاء وهو يحسو الشراب .

الأعلام

* - أبو عبد الله الحسين بن جوهر : الصقلي ، قائد القواد في جيش الحاكم الفاطمي وأبو جوهر
الصقلي الذي أخذ مصر وأقام بها الدعوة للمبيدين .

وقد قتل « الحاكم » قائده أبا عبد الله الحسين بن جوهر سنة ٤٠١ هـ وقتل معه قاضي القضاة - ابن الأثير
حوادث سنة ٤٠١ هـ ، الشذرات ٢٦/٣ .

* * - الحاكم : بأمر الله ، أبو علي منصور الفاطمي صاحب مصر والشام والحجاز والمغرب .
ولد سنة ٣٧٥ هـ ، وولى الأمر بعد أبيه العزيز ، وكان الحاكم غريب الأطوار شاذ التصرف ، قتل في
شوال سنة ٤١١ هـ .

راجع ابن خلكان . وابن الأثير ، والشذرات ١٩٢/٣ . والنجوم الزاهرة : ١٧٦/٤ : ٢٤٦ .

* * * - بغداد ، ودمشق ، وأنطاكية ، وملطية : من أعلام الغفران .

* * * * - طرابلس : مدينة على ساحل البحر بالشام - ياقوت ٣٦/٦ .

* * * * * - المايستريّة ، خولة بنت سعد الدولة . ولعل (المايستريّة) تعريب لفظ « المايستر » ودخلت
عليه التاء للتأنيث .

وخولة ، حفيدة سيف الدولة ، أبوها أبو المال شريف ، الملقب بسعد الدولة ، ابن سيف

الدولة ، ولى حلب بعد موت أبيه سنة ٣٥٦ هـ ، وتوفي ٣٨١ هـ (ابن الأثير) .

* * * * * - ميافارقين : أشهر مدن ديار بكر ، (بلدان ياقوت ٢١٥/٧)

قال لي يوماً من الأيام : ما رأيتك ! . قلت : أعرضت حاجة ؟

قال : لا ، أردت أن ألعنك .

قلت : فالعنى غائباً !

قال : لا ، في وجهك أشفى !

قلت : ولم ؟

قال : لمخالفتك إياي فيما تعلم^(١) .

وقلت له ونحن على أنس بيني وبينه : لي حُرُماتٌ ثلاث : البلدية ،

وتربية أبيه لي ، وتربيتي لإخوتي .

قال : هذه حُرْمٌ مهتكةٌ : البلديةُ نَسبٌ بين الجدَّان ، وتربيةُ أبي لك

مِنَّةٌ لنا عليك ، وتربيتك لإخوتي بالخِلمِ والدنانير .

أردت أن أقول له : « استرَحَّتْ مِنْ حَيْثُ نَعِبَ الْكِرَامُ » فخشيت جنونَ

جنونه ، لأنه كان جنونه مجنوناً ، وأصحُّ منه مجنونٌ ، وأجنُّ منه لا يكون .

وقد أنشد :

جنونك مجنونٌ ولست بواجدٍ طبيياً يداوى من جنونِ جنونِ

بل جُنٌّ جِنَانُهُ^(٢) ، ورقصَ شيطانه :

به جِنَّةٌ^(٣) مجنونةٌ غيرَ أنها إذا حصلتْ منه أَلْبٌ وأعقلُ

وقال لي ليلةً : أريدُ أن أجمعَ أوصافَ الشمعةِ السبعةِ في بيتٍ واحدٍ وليس

يستحُّ لي ما أرضاه . فقلتُ : أنا أفعلُ من هله الساعةِ .

١ - لعله يعنى مخالفته إياه حين هم بالثورة على الحاكم . انظر صفحة ٥٧ .

٢ - الجنان : جمع جان .

٣ - الجنة : والجنون ، زوال العقل أو فسادة .

قال : أَنْتَ جُدَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ^(١) وَعُدَيْقُهَا الْمُرْجَبُ^(٢) .

فَأَخَذْتُ الْقَلَمَ مِنْ دَوَاتِهِ وَكَتَبْتُ بِحَضْرَتِهِ :

لَقَدْ أَشْبَهْتَنِي شَمْعَةً فِي صِبَابَتِي وَفِي هَوْلٍ مَا أَلْتِي وَمَا أُنَوِّعُ
نَحُولُ ، وَحَرَقُ ، فِي فَنَاءٍ وَوَحْدَةٍ وَتَسْهِدُ عَيْنِي ، وَاصْفَرَارُ ، وَأَدْمَعُ

فَقَالَ : كُنْتَ عَمِلْتَ هَذَا قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ !

فَقُلْتُ : تَمَنُّعِي سُرْعَةَ الْخَاطِرِ وَتَعْطِيبِي عِلْمَ الْغَيْبِ ؟

وَقُلْتُ : أَنْتَ ذَاكَ قَوْلَ أَبِيكَ لِي ، وَلَكَ ، وَ [لِلْبَيْتِيِّ] *^(٣) الشَّاعِرُ ،

[وَلِلْمُحَسِّنِ]^(٤) * * [الدَّمَشْقِيُّ] ، وَنَحْنُ فِي الطَّارِمَةِ^(٥) : اَعْمَلُوا قِطْعَةً قِطْعَةً ،

فَمَنْ جَوَّدَ جَعَلْتُ جَائِزَتَهُ كَتَبْتُهَا فِيهَا ، فَقُلْتُ :

بَلَّغَ السَّمَاءَ سُمُوَّ بِيَّتِ تِ شَيْدٍ فِي أَعْلَى مَكَانٍ

بَيْتِ عِلَا حَتَّى^(٦) تَغَوَّ رَ فِي ذُرَاهِ الْفِرْقَدَانِ

فَانَعَمَ بِهِ لَا زَلَّتْ مِنْ رَبِيبِ الْحَوَادِثِ فِي أَمَانٍ

١ - الجذيل : تصغير الجذل ، وهو من الشجرة أصلها الباق بعد ذهاب فروعها . وعود ينصب للإبل الجري لتحتك به ، ومنه قول القائل : أنا جذيلها المحكك ، يعني الذي يحتك به كثيراً . يضرب لمن يلتجأ إليه ويستغنى برأيه .

٢ - العذيق : تصغير عذق ، وهو من النخلة كالمعقود من العنب . ورجب النخلة وضع حولها الشوك لئلا يصل إليها أحد . ومعنى عذيقها المرجب : الثمر المصون البعيد المنال .

٣ - في ج ، ي : [ولبيتي] راجع الأعلام .

٤ - في النسخ الثلاث : [ولحسن المشق] راجع الأعلام .

٥ - الطارمة : بيت كالقبة ، أعجمى مغرب .

٦ - في ع : [حتى توارى] .

الأعلام

* - البتي : هو - فيما أرجح - أحمد بن علي ، أبو الحسن ، وكان حافظاً للقرآن مليح المذاكرة بالأخبار والآداب ، عجب النادرة ، غريف المزج والمجون . نادم الوزراء وكتب للقادر بالله . روى ياقوت أبياتاً من شعره . توفي سنة ٤٠٣ هـ . (تاريخ بغداد ٤/٣٢٠) ، وأديب ياقوت ٣/٢٥٤)

** - الحسن المشق : رجحنا أن يكون : الحسن بن الحسين بن علي ، الأديب الشاعر الوراق . ذكر ياقوت أنه أمل به بصيدا ، حكايات مقطعة عن ابن خالويه . توفي في شوال سنة ٤١٦ هـ - معجم الأديب ١٧/٨٩ ، ٩٢ .

فاستجادَ سُرعَتَها وكتبها في الطارمة^(١) ، وخلع على .

وكان « أبو القاسم » ملولاً ، والملولُ ربما ملَّ المللَ ، وكان لا يَمَلُّ أن يَمَلَّ ، ويحقدُ حقدَ مَنْ لا تَلِينُ كَيْدُهُ ، ولا تَنَحَّلُ عُقْدُهُ .

وقال لى بعضُ الرؤساءِ معاتباً : أنت حقودٌ ولم يكن حقوداً .

فقلت له : أنت لا تعرفه ، والله ما كان يُحْنِي عُوْدُهُ ، ولا يُرْجِي عُوْدُهُ .
وله رأى يُزِينُ له العُقُوقَ ، وَيُمَقِّتُ إليه رِعايَةَ الحُقُوقِ ؛ بعيدٌ من الطَّبْعِ الذي هو للصدِّ صَدُودٌ ، ولِلتَأَلُفِ أَلُوفٌ وَدُودٌ . كأنه من كِبَرِهِ قد رَكِبَ الفَلَكَ واستوى على ذاتِ الحُبْكِ^(٢) . ولستُ مِمَّنْ يَرْغَبُ في رَاغِبٍ عن وِضْلَتِهِ ، أو يَنْزِعُ إلى نازِعٍ عن خُلَّتِهِ^(٣) . فلَمَّا رَأَيْتَهُ سادراً ، جارياً في قِلَّةٍ إنصافي على غُلُواتِهِ ، مَحَوْتُ ذِكْرَهُ عن صَفْحَةِ فُوادِي ، واعتَدَدْتُ وُدَّهُ فيما سال به الوادى :
ففي الناسِ إن رَأَيْتُ جِبَالَكَ واصلُ وفي الأرضِ عن دارِ القَلِي مُتَحَوُّلُ^(٤)
وَأَنشَدْتُ الرَّجُلَ أباياتاً أَعْتَذَرُ بها في قَطْعِي له^(٥) :

فلو كان منه الخيرُ إذ كان شرُّه عتيداً ، لقلنا : إن خيراً مع الشرِّ ولو كان - إذ لا خيرَ - لا شرَّ عنده صَبْرُنَا وَقُلْنَا ؛ لا يَرِيشُ ولا يَبْرِي^(٦)
ولكنه شرٌّ ولا خيرَ عنده وليس على شرِّ إذا دام من صَبْرٍ وبُغْضِي له^(٧) - شَهِدَ اللهُ - حَيًّا وَمَيِّتاً ، أَوْجَبَهُ أَخْذُهُ محارِبَ الكَعْبَةِ ،

١ - في ع : [الطارقة] تصحيف يمنه السياق . .

٢ - ذات الحبك : الهاء ذات الطرائق الحسة ، والحبك بالضم جمع حبيكة ، وهي الطريقة في الرمل أو بين النجوم . وانظر آية ٧ من سورة الذاريات . وقدرات الرأغب (حبك) .

٣ - الخلة ، بضم الخاء المعجمة وكسرهما : الصداقة والإخاء .

٤ - البيت للشنفرى ، من لامية العرب المشهورة .

٥ - أى ، أنشدت الرجل الذي عاتبني في قطعي لأبي القاسم المغربي .

٦ - لا يريش ولا يبرى : لا يتفجع ولا يضر . وأصله من رآش السهم يريشه : ألصق عليه الريش . وبرى السهم والقلم يبريه : نحته . قال « سويد بن أبي كاهل » :

فرشى بغير طال ما قد برىشى
فخير الموال من يريش ولا يبرى

٧ - يعنى : لأبي القاسم المغربي .

الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ . وَضَرَبَهَا دَنانِيرَ وِدْراهِمَ وَسَمَّاهَا « الكَعْبِيَّة » ، وَأَنْهَبَ الْعَرَبَ
 « الرَّمْلَةَ * » . وَخَرَّبَ « بَغدَادَ » . وَكَمَ دَمَ سَفْكَ ، وَحَرَمَ انْتِهَكَ ، وَحُرَّةَ
 أَرْمَلَ . وَصَبِيُّ آيَتَمٌ !!

* * *

وَأَنَا مُعْتَذِرٌ إِلَى الشَّيْخِ الْجَلِيلِ مِنْ تَقْرِيطِهِ مَعَ [تَفْرِيطِي^(١)] فِيهِ ، لِأَنَّهُ
 قَدْ شَاعَ فَضْلُهُ فِي جَمِيعِ الْبَشَرِ ، وَصَارَ غُرَّةً عَلَى جَبْهَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ . خَلَدَ
 ذَلِكَ فِي بَدَائِعِ الْأَخْبَارِ ، وَكُتِبَ بِسَوَادِ اللَّيْلِ عَلَى بِياضِ النَّهَارِ . وَأَنَا فِي
 مَكَاتِبِهِ حَضْرَتِهِ بِمَنْظُومٍ وَمَنْثُورٍ ، كَمَنْ أَمَدَّ النَّارَ بِالشَّرِّ ، وَأَهْدَى الضُّوءَ إِلَى
 الْقَمَرِ . وَصَبَّ فِي الْبَحْرِ جُرْعَةً ، وَأَعَارَ سَيْرَ الْفَلَكَ سُرْعَةً ، إِذْ كَانَ لَا يَحِلُّ
 النَّقْضُ بِوَادِيهِ ، وَلَا يَطُورُ^(٢) السُّهُوُ بِنَادِيهِ .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رِسَائِلِهِ عَقَائِلَ لَفْظٍ إِنْ نَعَتْهَا فَقَدْ عَيْتُهَا . وَإِنْ
 وَصَفْتُهَا فَمَا أَنْصَفْتُهَا . وَأَطْرَبْتَنِي - يَشْهَدُ اللَّهُ - إِطْرَابَ السَّمَاعِ . وَبِاللَّهِ لَوْ
 صَدَرَتْ عَنْ صَدْرٍ مَنْ خِزَانَتِهِ وَكُتِبَ حَوْلَهُ ، يُقَلَّبُ طَرْفَهُ فِي هَذَا . وَيَرْجِعُ
 إِلَى هَذَا - فَإِنَّ الْقَلَمَ لِسَانَ الْيَدِ وَهُوَ (أَحَدُ)^(٣) الْبَلَاغَتَيْنِ - لَكَانَ ذَلِكَ عَجِيبًا ،
 صَعْبًا شَدِيدًا . وَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عُلَمَاءَ ، مِنْهُمْ « ابْنُ خَالَوَيْهِ » إِذَا قُرِئَتْ
 عَلَيْهِمُ الْكُتُبُ . وَلَا سِيَّمَا الْكِبَارُ . رَجَعُوا إِلَى أَصُولِهِمْ كَالْمُقَابِلِينَ يَتَحَفَّظُونَ
 مِنْ سُهُوٍ وَتَصْحِيفٍ وَغَلَطٍ .

وَالْعَجَبُ الْعَجِيبُ وَالنَّادِرُ الْغَرِيبُ . حِفْظُهُ - آدَامُ اللَّهِ تَأْيِيدَهُ - لِأَسْمَاءِ

١- في النسخ الثلاث : [مع تفریطى فيه] .

٢- يطور : يعوم ويقرب . في الأساس : أنا لا أطور بفلان : أى لا أحوم حوله ولا أدنو منه .

٣- سقطت من النسخ .

الأعلام

٥ - الرملة : مدينة كبيرة بفلسطين ، وكانت قصبتها ، ثم خربت - بلدان ياقوت ٤ / ٢٨٦ .

الرجال ، والمنثور ، كحفظ غيره من الأذكياء المبرزين المنظوم ، وهذا سهل بالقول صعب بالفعل ، مَنْ سَمِعَهُ طَمِعَ فِيهِ ، ومن رامه امتنعت عليه معانيه ومبانيه .

حدثني « أبو علي الصقلي » بلمشق قال : كنت في مجلس « ابن خالويه * » إذ وردت عليه من « سيف الدولة ** » مسائل تتعلق باللغة ، فاضطرب لها ودخل خزانته وأخرج كتب اللغة ، وفرقها على أصحابه يفتشونها ليجيب عنها . وتركته وذهبت إلى « أبي الطيب اللغوي *** » وهو جالس ، وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها وبيده قلم الحمرّة ، فأجاب به ولم يُغيّرهُ ، فدرّة على الجواب .

وقال « أبو الطيب » : قرأت على « أبي عمر **** » (الفصيح) و (إصلاح المنطق) (١) حفظاً . وقال لي « أبو عمر » : « كنت أعلق اللغة عن ثعلب ***** على خزف ، وأجلس على دجلة أحفظها وأرى بها » وأنا تعبت وحفظت نصف عمرى ، ونسيت نصفه . وذلك أني درست ببغداد وخرجت عنها وأنا طري الحفظ ، ومضيت إلى مصر فأمرجت (٢) نفسى في الأغراض البهيمية ، والأعراض الموثمية ، وأردت بزعمى وخديعة

١ - (الفصيح) لثعلب ، و (إصلاح المنطق) لابن السكيت .

٢ - أمرجت نفسى : أطلقتها ترعى في الشبوات . يقال : مرج الدابة يمرجها مرجاً ، وأمرجها أرسلها ترعى في المرج . ومرج لسانه في أعراض الناس . أطلقه في ذمهم واغتيالهم .

الأعلام

- * - ابن خالويه : أبو عبد الله - من أعلام الغفران .
- ** - سيف الدولة : الحمداني - من أعلام الغفران .
- *** - أبو الطيب اللغوي : عبد الواحد بن علي - من أعلام الغفران .
- **** - أبو عمر : غلام ثعلب - من أعلام الغفران .
- ***** - ثعلب : أبو العباس ، أحمد بن يحيى - من أعلام الغفران .

الطَّبْعِ الْمُلِيمِ ^(١) أَنْ أُذِيقَهَا حَلَاوَةَ الْعَيْشِ . كَمَا صَبَّرْتُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ
وَالْأَدَبِ . وَنَسِيتُ أَنْ الْعِلْمَ غِذَاءُ النَّفْسِ الشَّرِيفَةِ وَصَيْقُلُ الْأَفْهَامِ اللَّطِيفَةِ .
وَكَنتُ أَكْتُبُ خَمْسِينَ وَرَقَةً فِي الْيَوْمِ . وَأَدْرُسُ مَائَتِينَ . فَصَرْتُ الْآنَ أَكْتُبُ
وَرَقَةً وَاحِدَةً وَتَحْكُمُنِي عَيْنَايَ حَكًّا مُؤَلَّمًا ؛ وَأَدْرُسُ خَمْسَ أَوْرَاقٍ وَتَكِلُنِي .
ثُمَّ دَفَعْتُ إِلَى أَوْقَاتٍ لَيْسَ فِيهَا مَنْ يَرَعْبُ فِي عِلْمٍ وَلَا أَدَبٍ . بَلْ فِي فَضَّةٍ
وَذَهَبٍ . فَلَوْ كُنْتُ « إِيَّاسًا » صَبَّرْتُ « بَاقِلًا » . وَأَضَعُ كِتَابًا عَنِ عَيْنِي وَأَطْلُبُهُ
عَنْ شَمَالِي . وَأُرِيدُ مَعَ ضَعْفِي . أَنْتَادَ لِنَفْسِي مَعَاشًا بَظَهْرٍ غَيْرِ ظَهِيرٍ . بَلْ
كَيْسِيرٍ عَقِيرٍ ^(٢) ؛ وَصُلْبٍ ^(٣) غَيْرِ صَلِيبٍ . إِنْ جَلَسْتُ فَهُوَ كَالدَّمَلِ . وَإِنْ
مَشَيْتُ فَجُمَلْتِي دِمَامِيلٌ . وَمَعْنَى بَقِيَّةِ نَزْرَةِ سِيرَةٍ مِنْ جَمَلَةٍ كَثِيرَةٍ . لَوْ وَجَدْتُ
ثِقَةً أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا لِيَعُودَ عَلَيَّ بِمَا أُرْفَهُ بِهِ عَنْ جَسْمِي مِنَ الْحَرَكَةِ . وَقَلْبِي مِنَ
الشُّغْلِ . وَأَنَا أَجِدُ مَنْ أَدْفَعُهَا إِلَيْهِ وَبَقِيَ أَنْ يَرُدَّهَا إِلَيَّ !

دَفَعَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقِي جَارِيَةً أَوْدَعَهَا عِنْدَهُ وَذَهَبَ فِي سَفَرِهِ ، فَقَالَ بَعْدَ
أَيَّامٍ لِمَنْ يَأْتِسُّ بِهِ وَتَسْكُنُ نَفْسُهُ إِلَيْهِ : يَا أَخِي ، ذَهَبَتْ أَمَانَاتُ النَّاسِ ،
أَوْدَعْنِي صَدِيقِي لِي جَارِيَةً فِي حِسَابِهِ ^(٤) أَنَّهُ يَكْرَهُ ، جَرَّبْتُهَا فَإِذَا هِيَ ثَيِّبٌ !
وَمَنْ ظَرِيفِ الْأَخْبَارِ أَنْ بِنْتَ أُخْتِي سَرَقَتْ لِي ثَلَاثَةَ وَثَمَانِينَ دِينَارًا ،
فَلَمَّا هَدَّهَا السُّلْطَانُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَمَدَّ مُدَّتَهُ . وَأَدَامَ سُمُوهُ وَرَفَعْتَهُ -
وَأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ بَعْضَهَا قَالَتْ : « وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ الْأَمْرَ يَجْرِي كَذَا ، كُنْتُ
قَتَلْتُهُ » فَاعْجَبُوا مِنْ هَرِيسَتِي وَزُبُونِي !! ^(٥)

* * *

- ١ - المليم : بالضم ، الذي يفعل ما يستحق عليه اللوم . يقال ألام الرجل : فعل ما يلام عليه فهو مليم
- ٢ - عقير : جريح ممقور - عقره : جرحه ، نحره . وعقر الإبل قطع قوائمها بالسيف .
- ٣ - الصلب : هنا ، عظم الفقار الممتد من الكاهل إلى أسفل الظهر ، العمود الفقري .
- ٤ - في : في [في حسابي] تحريف .
- ٥ - في : في [وزبوني] . والضمير في [قتلته] عائد على خال السارقة : ابن القارح .

والله لولا^(١) ضغني وعجزتي عن السفر ، لخرجت إليه مُتَشْرِفًا بمجالسته ومحاضرتيه ، فأما مُذاكرته فقد يشتُ منها لما قد استولى عليّ من التَّسيانِ ، واحتوى على قلبي من الهموم والأحزان . وإلى الله الشكوى لا منه ، وليس يحسنُ أن أشكو من برحمتي إلى من لا يرحمني ، وليس بحكيم من شكاً رحيماً إلى غير^(٢) رحيم .

وكان «أبو بكر الشَّبليُّ» * يقول : ليس غيرَ الله غيرٌ ، ولا عند غيرِ الله خيرٌ . وقال يوماً : يا جواد ! ثم أمسك مُفكراً ورفع رأسه ثم قال : ما أوقحتني ! أقول لك يا جواد ، وقد قيلَ في بعضِ عبديك : ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه لجاد بها ، فليتقِ الله سائله وقد قيلَ في آخر^(٣) :

تراه إذا ما جثته مُتهللاً كأنك مُعطيه الذي أنتَ سائله
ثم قال : «بلى ، أقول : يا جواداً فاق كلَّ جواد ، وبجوده جاد من جاد .»

ودخلَ «ابنُ السَّكِّ» * على «الرشيدِ» * فقال له : «عظي» - وفي يدِ الرشيدِ كوزُ ماء .

١- في : [لوضعي] .

٢- سقط من (ي) .

٣- البيت لزهير بن أبي سلمى في ملح «حسن بن حذيفة بن بدر» ، من قصيدته التي مطلعها :

صحا القلب عن سلمى وأتصر باطله وعري أفراس الصبا ورواحله

ويروى الشطر الثاني :

• كأنك تعطيه الذي أنت نائله •

انظر ص ١٢٤ من شرح ثعلب لديوان زهير (ط دار الكتب) والختار من الشعر الجاهل

٤- سقط من (ع) .

الأعلام

- - أبو بكر الشبلي : من أعلام الغفران .
- - ابن السكك : أبو العباس ، محمد بن صبيح الكوفي الزاهد الواظ ، كان كبير القدر عند الرشيد ، يظنه ويخوفه فيصني إليه . توفي سنة ١٨٣ - الشرقات ٣٠٣/١ .
- - الرشيد ، هارون بن المهدي بن المنصور العباسي - من أعلام الغفران .

فقال : « مهلاً يا أمير المؤمنين ، أرايتَ إن أقدرَ الله عليك مُقدراً
فقال : لن أمكنك من شربةٍ إلا بنصفِ مُلكِك ، أكنتَ فاعلاً ذلك ؟ » .
قال : نعم .

قال : « اشرب ، هناكَ الله » . فلما شرب قال : « أرايتَ يا أمير
المؤمنين ، أن لو أُسْفِتَ^(١) نفسَ هذا المُقدِّرِ عليك فقال : لن أمكنك من
إخراجِ هذا الكوزِ إلا بآنِ أستبدُّ بمُلكِكِ دونك ، أكنتَ فاعلاً ذلك ؟ » .
قال : نعم .

قال : « فاتقِ الله في [مُلكِ] ^(٢) لا يساوى إلا بؤلةً » .

وكيف أشكو من قاتني وعالني نيفاً وسبعين سنةً : كان قميصي ذراعين ،
فوكَلْ بي واللَّيْنِ حلبَيْنِ مُشْفِقَيْنِ ، يتناهيان في دقتهِ ورقتهِ وطيبه ، فلما
صار اثني عشرَ ذراعاً تولَّاهُ هو وطعاهي ، فما أجاعني قط ولا أعراني :
« والذي هو يُطعمني ويسقيني »^(٣) خاطبَ ربَّه بالأدبِ فقال : « وإذا
مرِضتُ فهو يشفيني »^(٤) فنسبَ المرضَ إلى نفسه ، لأنَّها تنفِرُ من الأعراضِ
والأمراضِ . وكلُّ شيءٍ يطرأ على الإنسان لا يقدرُ على دفعه ، مثل النومِ
واليقظةِ والضحكِ والبكاءِ والغمِّ والسرورِ والخصبِ والجذبِ والغنى والفقرِ ،
فهو منه تقدَّست أسماؤه . ألا ترى أنه لا يتوعَّدُ على فعله ، ولا يعاقبُ
عليه ؟ وما يقدرُ^(٥) على دفعه فهو منه ، مثل أن يريدَ الكتابةَ فلا يقمُ منه

١ - كذا في النسخ الثلاث . وفي اللغة : سفت يسفت سفتاً ، أكثر من الشراب ولم يرو . فلعله
من أسفته بمعنى سقاه ، على البناء المجهول .

٢ - في ج ، ي : [ملكك] .

٣ ، ٤ - آيتا ٧٩ ، ٨٠ من سورة الشعراء .

٥ - ضمير الفاعل هنا ، عائد على الإنسان .

البناء ، ويريدُ البناءُ فلا تقعُ منه الكتابةُ . وَمَنْ به الرعشةُ لا يقدرُ على إمساكِ يدٍ ، ومن ليست به يقدرُ على إمساكها .

كنتُ بـ «تنيس» * وبين يدي إنسانٌ يقرأ ويحزُن^(١) : «يؤفون بالنذر ويخافون»^(٢) ، ويبيكى ، فخطر لي خاطرٌ فقلت : أنا بضدِّ هؤلاء القوم صلواتُ الله عليهم ، أنا لا أنذرُ ولا أفي ، ولا أخافُ شقاءً ولا عناءً ، ولو كنتُ أخافُ ما أصبحتُ . . . [إلا]^(٣) محموماً وكنته .

وحدثني مَنْ أتق به ولا أتهمه، عن أبيه - وكان زاهداً - قال : كنتُ مع «أبي بكر الشبلي» * ببغداد ، في الجانبِ الشرقِ ببابِ الطاق ، فرأينا شاوياً قد أخرج حملاً من التنور كأنه بُسرة^(٤) نُضجاً ، وإلى جانبه قد عمل حلاوىً فالودجا . فوقف ينظرُ إليهما وهو ساهٍ يفكرُ ، فقلتُ : يا مولاي دعني آخذ من هذا وهذا ورقاقاً وخبزاً ، ومنزلي قريبٌ ، تُشرِّفني بأن تجعلَ راحتك اليومَ عندي . فقال : يا هذا ، أظننتَ أني قد اشتيهما ؟ وإنما فكرى في أن الحيوانَ كله لا يدخلُ النارَ إلا بعد الموتِ ، ونحن نلخلُها أحياء : يا ربُّ عفوك عن ذى شيبَةٍ وجِل كأنه من حذارِ النارِ مجنونٌ قد كان ذمُّ^(٥) أفعالاً مُذمَّمةً أيامَ ليس له عقلٌ ولا دينٌ

١ - يحزن : يرقص صوته في التلاوة .

٢ - من آية ٧ سورة الإنسان .

٣ - يياض في الأصل . بمقدار كلمة ، والسياق يقوم بوضع لفظ : إلا .

٤ - البسرة : واحدة البسر ، وهو التمر الغض . والبسر أيضاً : الغض من كل شيء .

٥ - كذا في النسخ الثلاث ، وفي اللسان : أذم الرجل أني بما يذم عليه . ورجل مذم ، أي مذموم .

جداً .

الأعلام

• - تنيس : جزيرة قريبة من ساحل مصر الشمال ما بين القروا ودمياط ، كانت لما شهرة

تاريخية في النسيج . (ياقوت ٤١٩/٢)

•• - أبو بكر الشبلي : من أعلام القفران .

تَمَّتْ الرِّسَالَةُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْأَفْضَالِ ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَخَيْرِهِ
الْآلِ .

ما فرغتُ من السَّوْدَاءِ حَتَّى ثَارَتْ بِي السَّوْدَاءُ ، وَأَنَا أَعْتَذِرُ مِنْ خَطَلٍ فِيهَا
أَوْ زَكَلٍ ، فَإِنَّ الْخَطَأَ مَعَ الْاِعْتِدَارِ وَالْاِجْتِهَادِ وَالتَّحَرُّى ، مَوْضُوعٌ عَنِ الْمَخْطِئِ :
• وَمَنْ ذَا الَّذِى يُوْتَى الْكِمَالِ فَيَكْمَلُ •

قال «عمرُ بنُ الخطَّابِ*» : رَجِمَ اللهُ امرأً أهْدَى إلى عيوبى .
• وأسألهُ - أدام اللهُ عزَّه - تشرىنى بالجواب عنها ، فإن هذه الرسالةُ
- على ما بها - قد استُخِصِنَتْ وَكُتِبَتْ عَنى وَسُمِعَتْ مِنى ، وَشَرَفْتُهَا بِاسْمِهِ ،
وَطَرَزْتُهَا بِذِكْرِهِ .

والرسالةُ التى كتبها «الزُّهْرَجِىُّ**» إلى ، كانت أكبرَ الأسبابِ فى
دخولى إلى حَلَبَ . وإذا جاء جوابُ هذه ، سیرتُها بحلبَ وغيرها إن شاء
اللهُ ، وبه الثقةُ ، وصلى اللهُ على سيدنا محمدَ وعلى آلهِ وسلَّم .

الأعلام

- - عمر بن الخطاب : أمير المؤمنين .
•• - الزُّهْرَجِىُّ : أبو الفرج ، انظر صفحة ٢٦ وفيها حديث الرسالة المشار إليها هنا .